

التزكية بين أهل السنة والصوفية

جمع وترتيب
أحمد فريد

100-1000/1000 1000
1000/1000 1000

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله الذى وهب لنا العقول والأذهان ، ومنحنا فصاحة اللسان وألهمنا التبيان ، وحضنا على التحلى بالحلى الأدبية ، والتخلق بالمكارم العلية ، ورجبنا فى الاقتداء بالسنن السنية ، والاهتداء بالأقوال المرضية الزكية ، المتكفلة بالسعادة الدينية والدنيوية ، وأرشدنا إلى الطريق الأسنى ، وأمرنا بالإحسان والأفعال الحسنى ، ونهانا عن الأخلاق الدنيئة اللثيمة ، والأفعال الرديئة الذميمة ، وأنعم علينا بالبلاغة والبيان .

نحمده تعالى والحمد من إحسانه العميم ، ونشكره والشكر من إنعامه الجسم ، ونصلى ونسلم على رسوله النبى الأمى الكريم ، وعلى آله وأصحابه الغر الميامين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد

قال أبو الحسن بن هذيل :

والذى عليه فى التأليف المدار ، هو حسن الانتقاء والاختيار ، مع الترتيب والتبويب والتهديب والتقريب .

قال بعض العلماء : اختيار الكلام أشد من نحت السهام^(١) . وهذه رسالة لطيفة فى التزكية جمعت فيها ما تفرق مما وقفت عليه فى أصل من أصول دعوتنا السلفية ، وهو الأصل الذى به نجاه الفرد وصلاح الجماعة ، ألا وهو التزكية التى تمنى الله بها على عباده المؤمنين بقوله : ﴿ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (النور : ٢١) ، وأخبر فى كتابه أنه أرسل نبيه المصطفى ﷺ يزكى به قلوب الناس فقال تعالى متمننا ببعثته : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (الجمعة : ٢)

(١) عين الأدب والسياسة (٨) دار الكتب العلمية .

وكان النبي ﷺ يسأل الله عز وجل هذه الزكاة فيقول « اللهم آت نفوسنا تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها »^(١) .

ورتبت الكلام في ثلاثة أبواب رئيسية ورابعها خاتمة البحث :

الباب الأول : معنى التزكية وأهميتها .

الباب الثاني : مقارنة بين أهل السنة والصوفية في مناهج التزكية .

الباب الثالث : غاية التزكية عند أهل السنة وغاية التزكية عند الصوفية .

الباب الرابع : خاتمة البحث .

وأسأل الله العلي الكبير أن يتقبل مني هذا العمل اليسير ، ويثيبني من فضله الثواب الجزيل ، وهو مولانا ونعم الوكيل ، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم .

(١) رواه مسلم (٤١/١٧) الذكر بزيادة في أوله وآخره وأحمد (٣٧١/٤) ، و (٢٠٩/٦) بلفظ « رب أعط نفسي تقواها » .

الباب الأول

معنى التزكية وأهميتها

التزكية هي الأصل الثالث من الأصول العلمية للدعوة السلفية ، ويقصد بها تنمية القلوب وإصلاحها وتطهيرها ، يقولون زكا الزرع إذا نما وصلاح وبلغ كماله ، وسميت صدقة المال الواجبة زكاة لأن المال يطهر بها وينمو ، فهي طهارة للمال ، وطهارة للمزكى ، وطهارة للمجتمع ، وعكس التزكية التدسية : وهي التصغير والتحقيق حتى تصير النفس حقيرة ذنيقة لا تكاد ترى من حقارتها ودناءتها ، ومنه قوله عز وجل : ﴿ أَيَمْسِكُ عَلَيْ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ﴾ (النحل : ٥٩) أى يخفيه في التراب ، وقد أقسم الله عز وجل في كتابه أحد عشر قسماً متوالياً على أن صلاح العبد منوط بتزكية نفسه ، وخيبته منوطة بتدسية نفسه قال تعالى : ﴿ وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا ، وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَاها ، وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّاهَا ، وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا ، وَالسَّمَاءُ وَمَا بَنَاهَا ، وَالْأَرْضُ وَمَا طَحَاهَا ، وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ... ﴾ [الشمس : ١ - ١٠] .

قال الشيخ عطية سالم في تنمة الأضواء : واختلف في موضع الضمير في ﴿ زَكَّاهَا وَدَسَّاهَا ﴾ وهو يرجع إلى اختلافهم في ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ فهل يعود على الله تعالى كما في ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴾ ، أم يعود على العبد ، ويمكن أن يستدل لكل قوم ببعض النصوص ، فمما يستدل به للقول الأول قوله تعالى : ﴿ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلِمُونَ فِتْيَالاً ﴾ [النساء : ٤٩] وقوله : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا ﴾ [النور : ٢١] وفي الحديث أنه ﷺ كان يقول عند هذه الآية : « اللهم آت نفوسنا تقواها وزكها ، أنت خير من زكها ، أنت وليها ومولاها »^(١) ومما استدل به للقول الثاني : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ

(١) تقدم تخريجه ص (٦) .

رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿ [الأعلى : ١٤] وقوله : ﴿ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ
وإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ [فاطر : ١٨] .

والذى يظهر والله أعلم ، أن ما يتزكى به العبد ، وعمل في طاعة وترك
معصية فإنه بفضل من الله .

كما تفضل عليه بالهدى والتوفيق للإيمان ، فهو الذى يتفضل عليه بالتوفيق إلى
العمل الصالح وترك المعاصي ، كما في قولك « لاحول ولا قوة إلا بالله » بل إن
في قوله تعالى : ﴿ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ [النساء :
٤٩] الجمع بين الأمرين القدرى والشرعى ، بل الله يزكى من يشاء بفضله ،
ولا تظلمون فتيلاً بعدله ، والله تعالى أعلم^(١) . فصالح العباد وفلاحهم
وفوزهم ونجاتهم في تعهد أنفسهم بالإصلاح ، وتطهير بواطنهم وظواهرهم من
الشرك بالله عز وجل ومن سائر الصفات المذمومة ، وتحليتها بالتوحيد
واستسلامها للشرع المجيد .

وقد أجمع علماء القلوب على أن القلوب لا تصل إلى مُنَاهَا حتى تصل إلى
مولاهما ، ولا تصل إلى مولاهما حتى تكون صحيحة سليمة زكية ، والله عز
وجل طيب لا يقبل إلا طيباً ، فكلما طابت النفس وزكت قربها الله عز
وجل ، فتسعد بالله عز وجل ، وتأنس بالله عز وجل ، وتستغنى بالله عز
وجل .

وكلما عصى العبد ربه وصغّر نفسه وحقرها بمعصية الله طرده الله عز وجل
عن حضرته ، وأبعده بقدر جانيته ، فتحدث الوحشة بينه وبين ربه عز وجل ،
وبينه وبين عباد الله المؤمنين ، فلو حصلت له الدنيا بخذافيرها لم تعوضه هذه
الوحشة .

فالواجب على المسلم حتى تزكو نفسه أن يستسلم لشرع الله عز وجل ،
بعد أن يتحقق قلبه بالتوحيد ، وأن يكون بين يدي الشارع كالميت بين يدي
الغاسل ، ألا ترى أن الميت لا تكون له إرادة ولا هوى تخالف إرادة مغسله ،

(١) باختصار من أضواء البيان (٢٤٧/٩ - ٢٤٩) .

بل يقبله المغسل كيف يشاء ، ويقدم ما يشاء ويؤخر ما يشاء ، وليس له إلا التسليم ، وهذا معنى الإسلام وهو الاستسلام لشرع الله عز وجل .

قال الزهري : من الله الرسالة ، وعلى الرسول البلاغ ، وعلىنا التسليم .
والشرع كله تزكية لنفوس العباد حتى يصلحوا لمجاورة الله في الجنة ، فالتوحيد تزكية : قال الله تعالى : ﴿ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾ [فصلت : ٦ ، ٧] قال ابن كثير رحمه الله : قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : يعنى الذين لا يشهدون أن لا إله إلا الله وكذا قال عكرمة .^(١)

والصلاة حمزية : قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ (العنكبوت : ٤٥)

وقال النبي ﷺ : «أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات ما تقولون ذلك يبقى من درنه ؟ قالوا لا يبقى من درنه شيئاً . قال : فذلك مثل الصلوات الخمس يحو الله بها الخطايا »^(٢)

والصدقة حمزية : قال الله تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ [التوبة : ١٠٣]

والحج حمزية : قال الله تعالى : ﴿ فَلَا رَفْتَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ [البقرة : ١٩٧]

فالله عز وجل شرع لنا الشرائع من أجل أن تزكو نفوسنا ، وأن تصلح ديننا وآخرتنا ، والله عز وجل أغنى وأعز من أن ينتفع بطاعات العباد ، أو أن يتضرر بمعاصيهم كما في الحديث القدسي « يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني »^(٣) . بل العباد أنفسهم يتضررون بمعاصيهم ، وهم أنفسهم ينتفعون بطاعاتهم ، والله تعالى غنى عنهم وعن

(١) تفسير القرآن العظيم (٩٢/٤) دار المعرفة .

(٢) رواه البخاري (١١/٢) مواقيت الصلاة ، ومسلم (١٧٠/٢) المساجد ، والترمذي

(٣١٦/١٠) الأمثال والنسائي (٢٣١/١) الصلاة . والدرن : الوسخ .

(٣) رواه مسلم (١٣٢/١٦ ، ١٣٣) البر والصلة ، والترمذي (٣٠٥/٩) صفة القيامة عن أبي ذر

رضي الله عنه .

طاعتهم قال تعالى : ﴿ لَنْ يَبَالِ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤَهَا ﴾ [الحج : ٣٧] ألا ترى أن العباد يذبحون الهدايا والأضاحي ويأكلون لحومها ، وهم مع ذلك يتقربون بها إلى الله عز وجل ، لأنهم يستجيبون لأمر الله ، ويستسلمون لشرعه ، فالإيمان والعمل الصالح سبب سعادة الدنيا ، كما أنه سبب سعادة الآخرة قال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً ، وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل : ٩٧] والسعادة سعادة القلوب ، والشقاء شقاء القلوب ، والقلوب لا تسعد إلا بالله ، ولا تطمئن إلا بذكره وطاعته قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد : ٢٨] فلا تسعد بالمال ، ولا تسعد بالجاه ، ولا تسعد بالشهرة ، والتعاسة والشقاء تلاحقان العبد إذا تعلق القلب بغير الله حباً ورجاءً وخوفاً وتوكلأً ، قال النبي ﷺ : « تعس عبد الدينار ، وعبد الدرهم ، وعبد الخميصة ، إن أعطى رضى وإن لم يعط سخط ، تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش »^(١) .

وصفة القول أن يقال كلما زكى العبد نفسه بالتوحيد وطاعة العزيز الحميد كلما سعد ، والعكس بالعكس ، كما قال تعالى : ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً ، وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ، قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً ، قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا كَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى .. » [طه : ١٢٣ - ١٢٦] .

(١) رواه البخارى (٨١/٦) الجهاد ، وابن ماجه (٤١٣٥) الزهد . تعس : دعاء عليه بالهلاك ، القטיפه كساء له لخله الخميصة : ثياب خز (حرير) أو صوف معلمة ، شيك : شاكته شوكة ، انتقش : خرجت من جسمه .

قال ابن القيم رحمه الله :

وسمعت شيخ الإسلام قدس الله روحه يقول : إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة .

وقال مرة : ما يصنع أعدائي بي ؟ أنا جنتي وبستاني في صدري ، إن رحمت فهي معي لا تفارقني ، إن حبسى خلوة ، وقتلي شهادة ، وإخراجي من بلدي سياحة .

وكان يقول في محبسه في القلعة : لو بذلت لهم ملء هذه القلعة ذهباً ، ما عدل عندي شكر هذه النعمة ، أو قال : ما جزيتهم على ما تسببوا لي فيه من الخير ، ونحو هذا .

وكان يقول في سجوده وهو محبوس : « اللهم أعنني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك »^(١) ما شاء الله .

وقال لي مرة : المحبوس من حبس قلبه عن ربه ، والمأسور من أسره هواه .

ولما دخل إلى القلعة وصار داخل سورها نظر إليه وقال : ﴿ فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ يَسُورٌ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾ [الحديد : ١٣]

وعلم الله ما رأيت أحداً أطيّب عيشاً منه قط ، مع ما كان فيه من ضيق العيش ، وخلاف الرفاهية والنعيم ، بل ضدها ، ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرهاق وهو مع ذلك من أطيّب الناس عيشاً ، وأشرحهم صدرأ وأقواهم قلباً ، وأسّرهم ، تلوح نضرة النعيم على وجهه .

وكنا إذا اشتد بنا الخوف ، وساءت منا الظنون ، وضائق بنا الأرض ، أتيناها ، فما هو إلا أن نراه ، ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله عنا ، وينقلب انشراحاً وقوة ويقيناً وطمأنينة ، فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه ،

(١) الحديث رواه أبو داود والنسائي (٥٣/٣) الدعاء بعد الذكر عن معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ أخذ بيده فقال : يا معاذ والله إنني لأحبك فقال أوصيك يا معاذ لا تدعن في كل صلاة أن تقول : اللهم أعنني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك « وصحح إسناده عبد القادر الأرناؤوط في تحقيق جامع الأصول (٢٠٩/٤) .

وفتح لهم أبوابها في دار العمل ، فأتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها .

وكان بعض العارفين يقول : لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه ، لجالدونا عليه بالسيوف .

وقال آخر : مساكين أهل الدنيا ، خرجوا منها وماذاقوا أطيب ما فيها ؟ قيل : وما أطيب ما فيها قال : محبة الله تعالى ومعرفة وذكره ، أو نحو هذا .

وقال آخر : إنه لتمر بالقلب أوقات يرقص فيها طرباً . وقال آخر : إنه لتمر بي أوقات أقول : إن كان أهل الجنة في مثل هذا ، إنهم لفى عيش طيب .

فمحبة الله تعالى ومعرفة ودوام ذكره والسكون إليه ، والطمأنينة إليه ، وإفراذه بالحب والخوف والرجاء والتوكل والمعاملة ، بحيث يكون هو وحده المستولى على هموم العبد وعزماته وإرادته ، هو جنة الدنيا ، والنعم الذي لا يشبهه نعم ، وهو قرة عين المحبين وحياة العارفين .

وإنما تقر أعين الناس بهم على حسب قرة أعينهم بالله عز وجل ، فمن قرت عينه بالله ، قرت به كل عين ، ومن لم تقر عينه بالله تقطعت نفسه على الدنيا حشرات^(١) . اهـ .

قال ابن القيم في طريق الهجرتين :

فوا أسفاه وواحسرتاه ، كيف ينقضى الزمان وينفذ العمر والقلب محبوب ماشم لهذا رائحة ، وخرج من الدنيا كما دخل إليها ، وما ذاق أطيب ما فيها ، بل عاش فيها عيش البهائم وانتقل انتقال المفاليس ، فكانت حياته عجزاً وموته كمداً ، ومعاده حسرة وأسفاً ، اللهم فلك الحمد ، وإليك المشتكى ، وأنت المستعان ، وبك المستغاث ، وعليك التكلان ولا حول ولا قوة إلا بك^(٢) .

والحاصل أن العبد يجهل مواقع السعادة ، والنفس الجاهلة تتكاسل عن

(١) الوابل الصيب بتحقيق بشير محمد عيون (٩٦ - ٩٨) دار البيان .

(٢) طريق الهجرتين (٢١١) السلفية .

الطاعات لجهلها بأن سعادة الدارين في طاعة الله والاستسلام لأمره ونهيه ، قال ابن المبارك رحمه الله : إن الصالحين فيما مضى كانت أنفسهم تواتيهم على الخير عفوا ، وإن أنفسنا لا تكاد تواتينا فينبغي علينا أن نكرها .

فلطاعة الله عز وجل . حلاوة تذوقها القلوب إذا باشرتها ، وهذه الحلاوة تقصر دونها العبارة ، ولا تحيط بها الإشارة . قال بعضهم : أهل الليل في ليلهم ألد من أهل اللهو في لهوهم ، ولولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا . وقال غيره : مابقي من لذات الدنيا إلا ثلاث : قيام الليل ، ولقاء الإخوان ، وصلاة الجماعة .

فتثقل هذه العبادات والتكاليف الشرعية على الذين لم ينالوا من العلم إلا زبد الأفكار وزباله الأذهان ، وتخف على أهل الطاعات الذين زكت نفوسهم ، وطهرت جوارحهم ، ولقد كان الواحد منهم يثقل عليه خروجه من الصلاة ، قال بعضهم : أنا منذ أربعين سنة ما أزعجني إلا طلوع الفجر .

وبكى أحد الصحابة عند موته فسأل عما يبكيه فقال : والله لا أبكي على دنياكم ولا أبكي على فراقكم ، ولكن أبكي على طول ظمأ الهواجر ، وقيام ليالي الشتاء الطويلة .

ويكفيك أيها القارئ الكريم أن تعلم أن النبي ﷺ كان يصل حتى تشقق قدماه ، وترم ساقاه ، فيقال له أتفعل ذلك وقد غفر الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فيقول ﷺ « أفلا أكون عبداً شكوراً »^(١)

وكان يواصل ﷺ رويني عن الوصال ويقول « إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني »^(٢) فكان ﷺ أحسن الناس حالاً وأسعدهم بربه وكان يقول :

(١) رواه البخاري (١٤/٣) التهجذ والتفسير والرقاق، ومسلم (١٧/١٦٢) صفات المنافقين ، والترمذي (٢٠٤/٢ ، ٢٠٥) الصلاة ، والنسائي (٣/٢١٩) قيام الليل .

(٢) رواه البخاري (٤/٢٠٢) الصوم ، ومسلم (٧/٢١٢) الصيام ، ومالك في الموطأ (١/٣٠٠) الصيام .

« حُب إلى من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة »^(١) فتدبر مرة ثانية قول الله عز وجل : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ واعلم أن هذا الفلاح لأهل الزكاة في الدنيا والآخرة ، والخيبة لأهل التدسية في الدنيا والآخرة .

كما أن قول الله عز وجل : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ، وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾ [الانفطار : ١٣ ، ١٤] لايعنى نعيم الآخرة للأبرار وجحيم الآخرة للفجار ، بل الأبرار في نعيم الدنيا ، وفي دار البرزخ ، وفي الآخرة ، وإن كان نعيم الدنيا دون نعيم الآخرة ، كما أن العذاب في الدنيا دون عذاب الآخرة كما قال الله تعالى : ﴿ وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [السجدة : ٢١] والعذاب الأدنى في الآية يقصد به عذاب الدنيا لقوله تعالى : ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ ولا يكون ذلك إلا في الدنيا ، واستدل بها ابن عباس على عذاب القبر لقوله تعالى ﴿ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذْنَى ﴾ ولم يقل « العذاب الأدنى » فدل على أنهم بقيت لهم من العذاب الأدنى بقية ، يعذبون بها في القبور .

وظهر الفلاح والنجاح كذلك في هؤلاء الصحابة الكرام ، فعزوا في الدنيا

(١) رواه النسائي (٦١/٧) عشرة النساء وأحمد (١٢٨/٣ ، ١٩٩ ، ٢٨٥) والحاكم (١٦٠/٢) النكاح وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وصححه الألباني .

قال السندی في حاشيته على سنن النسائي : قيل إنما حُب إليه النساء لينقلن عنه مالا يطلع عليه الرجال من أحواله ويستحيا من ذكره . وقيل : حُب إليه زيادة في الابتلاء في حقه حتى لا يلهو بما حُب إليه من النساء عما كلف به من أداء الرسالة فيكون ذلك أكثر لمشاقه وأعظم لأجره ، وقيل غير ذلك .

وأما الطيب فكأنه يحبه لكونه ينأجى الملائكة وهم يحبون الطيب ، وأيضاً هذه المحبة تنشأ من اعتدال المزاج وكال الخلقة ، وهو ﷺ أشد اعتدالاً من حيث المزاج وأكمل خلقه . وقوله « قرة عيني في الصلاة » إشارة إلى أن تلك المحبة غير ما نعلقه عن كمال المناجاة مع الرب تبارك وتعالى ، بل هو مع تلك المحبة منقطع إليه تعالى ، حتى أنه بمناجاته تقر عيناه وليس له قريرة العين فيما سواه ، فمحبة الحقيقية لله تبارك وتعالى ، وفيه إشارة إلى أن محبة النساء والطيب إذا لم يكن مخللاً لأداء حقوق العبودية . بل للانقطاع إليه تعالى يكون من الكمال وإلا يكون من النقصان فليتأمل (٦٢/٦١/٧) .

وسادوا لأنهم استجابوا لله وللرسول من بعد ما أصابهم القرح ، هذا مع ما ينتظرهم في الآخرة من موعود الله عز وجل لهم بالجنة كما قال تعالى : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة : ١٠٠]

فمن أراد سعادة الدارين فعليه أن يتعهد نفسه بالإصلاح والتزكية ؛ فكما أن السموات والأرض لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ، فكذلك قلوب العباد ، لو كان فيها آلهة إلا الله لفسدت بذلك فساداً لا يرجى له صلاح ، حتى تعرف ربها عز وجل وتعبده بأمره ونهيه ، والنفوس الجاهلية حتى تترقى في محبة الله عز وجل وولايته تحتاج إلى رفق ومدارة حتى تصير سعادتها في الطاعات والعبادات قال بعض السلف : عالجت قيام الليل سنة وتمتعت به عشرين سنة . فالعاقل هو الذى يعالج نفسه ويجبرها على ما فيه سعادتها ، وهذه المعالجة لن تطول بإذن الله ، فلا تلبث نفس العبد أن تتعلم وتذوق حلاوة الطاعات وترك المعاصي ، نصحت إحدى الصالحات من السلف بنيتها فقالت لهم : « تعودوا حبَّ الله وطاعته ، فإن المتقين ألفت جوارحهم الطاعة فاستوحشت من غيرها ، فإذا أمرهم الملعون بمعصية مرت المعصية بهم محتشمة فهم لها منكرون » .

وقد ذكر النبي ﷺ حلاوة الإيمان ، وبَيَّن أن الذى يذوق هذه الحلاوة من أخلص حبه لله عز وجل ولرسوله ﷺ ولعباده المؤمنين فقال ﷺ :

« ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار »^(١)

قال الشيخ أبو محمد بن أبي حمزة : إنما عبر بالحلاوة لأنه شبه الإيمان

(١) رواه البخارى (٦٠/١) الإيمان ، مسلم (١٣/٢) الإيمان ، والترمذى (٩١/١٠) الإيمان ، وروى مسلم والترمذى عنه ﷺ قال : « ذاق طعم الإيمان من رضى بالله رباً وبالإسلام ديناً ومحمد رسولا » .

بالشجرة فى قوله ﴿ كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾ [إبراهيم : ٢٤] فالكلمة
هى كلمة الإخلاص ، والشجرة أصل الإيمان ، وأغصانها اتباع الأمر واجتناب
النهى وورقها ما يهتم به المؤمن من الخير وثمرها عمل الطاعات ، وحلاوة الثمر
جنى الثمرة وغاية كماله تنهى نضج الثمرة وبه تظهر حلاوتها «^(١) .

(١) فتح البارى (٦٠/١) السلفية .

مقارنة بين أهل السنة والصوفية في مناهج التزكية

ولمّا قصدنا الصوفية من بين فرق الضلالة ؛ لأنهم يزعمون أنهم أصحاب الأحوال والمقامات والنفوس الزاكيات ، وأنهم أصحاب مناهج في تصفية النفوس وتنقيتها ، وهذه المقارنة يظهر فيها بجلاء نقاء المنهج السلفي ، وكيف أنه ميراث رسول الله ﷺ وما خالفه إنما هو ابتداء وبعد عن الكتاب والسنة .

١ - منهج التزكية عند السلفيين أهل السنة والجماعة

أهل السنة والجماعة هم أهل الأثر وأهل الحديث ، وهم كذلك أهل الاتباع ، فهم يزكون أنفسهم بما زكى به النبي ﷺ نفوس الصحابة الكرام رضي الله عنهم ، فلا يبتدعون طرقاً للتزكية ، ولا ينتهجون من المناهج ما يخالف نهج النبوة ، وهم يضبطون بالعلم اعتقاداتهم وأقوالهم وأعمالهم ، ونلخص مناهج التزكية عند السلفيين في ثلاثة أمور :

- ١ - التزكية بالعقيدة الصحيحة عقيدة التوحيد ، ولا يكفيهم ذلك حتى تتعبد قلوبهم لله عز وجل ، وتمتلئ بأنوار أسمائه وصفاته وربوبيته وإلهيته .
- ٢ - التزكية بأداء الواجبات وترك المحرمات .
- ٣ - التزكية بالنوافل .

١ - التزكية بالتوحيد

لا شك أن أوجب أنواع التزكية ، التزكية بالتوحيد قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾ [التوبة : ٢٨] وهذه النجاسة ليست نجاسة عينية بحيث أن المسلم إذا مَسَّ كافرًا يغسل يده ، فقد أبيح للمسلم أن يتزوج بالكتانية ولا يسلم من عرقها ، والواجب عليه من الطهارة كما هو الواجب على من تزوج بالمسلمة ، فهذه نجاسة معنوية ، قلوبهم نجسة لأنها لاتعرف الله عز وجل معرفة صحيحة ، ولا تعبد وحده لا شريك له عبادة صحيحة .

ونجاسة الشرك ملازمة لانطهرها المصائب المكفرة ولا الحسنات الماحية ،
 بعكس تدنس المسلم بشيء من نجاسات المعاصي التي هي دون الشرك ، فإنما
 تطهرها المصائب المكفرة والحسنات الماحية ، ودعاء المؤمنين ، واستغفار
 الملائكة ، وغير ذلك من مكفريات الذنوب والخطايا ، لذا كان أول الواجبات
 أن يطهر العبد نفسه من أنجاس الشرك ، ويزكيها بالتوحيد ، كما قال ابن عباس
 في قوله تعالى : ﴿ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾ [فصلت : ٦ ،
 ٧] قال : الذين لا يشهدون أن لا إله إلا الله ، وكذلك قول موسى عليه
 السلام لفرعون ﴿ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى ﴾ [النازعات : ١٨] أى تتطهر
 من هذا الشرك بالتوحيد ، فأصل التزكية ، التزكية بالتوحيد ، بل لا تزكو
 النفس بسائر أنواع العبادات حتى تزكو بالتوحيد أولاً ، ومن اهتمام النبي ﷺ
 بهذا الأصل لما أرسل معاذاً إلى اليمن قال : فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن
 لا إله إلا الله وأنى رسول الله ، فإن هم أطاعوك لذلك فأخبرهم أن الله قد
 فرض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة ^(١) الحديث

وأيضاً فإن الزكاة هي التطهير ، وهل هناك نجاسة أشد من الشرك قال الله
 تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾
 [النساء : ٤٨]

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان : ١٣] .

وقال : « وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [النساء : ١١٦]
 وقد قضى النبي ﷺ ثلاثة عشر عاماً يدعو إلى التوحيد وكان القرآن المكي
 دعوة للتوحيد ، وبيان ما أعده الله عز وجل لأهل التوحيد ، وكذلك ما أعده
 للمعرضين عن توحيده ، وكيف نصر الله عز وجل أوليائه الموحدين ، وأهلك
 الكافرين والمعاندين ، حتى استنارت قلوب الصحابة بأنوار التوحيد ، وظهر هذا
 النور على جوارحهم فأثمر فعل الطاعات وترك المعاصي ، كما قيل في قول الله عز
 وجل ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي
 النُّورِ ﴾

(١) رواه البخارى (٢٦١/٣) الزكاة ، ومسلم (١٩٦/١ ، ١٩٧) الإيمان ، وأبو داود
 (١٥٦٩) الزكاة والترمذى (١١٧/٣ ، ١١٨) الزكاة ، والنسائى (٥٥/٥) الزكاة .

السَّمَاءِ ، تُؤْتَى أُلْكُلَهَا كُلُّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴿﴾ [إبراهيم : ٢٤ ، ٢٥] فالكلمة الطيبة هي كلمة التوحيد « لا إله إلا الله » أصلها ثابت في قلب المؤمن ، وفرعها من الأعمال الصالحة في السماء صاعد إلى الله عز وجل ، ونقصد بالتوحيد الذي تزكو به النفوس التوحيد الذي علمنا إيَّاهُ رسول الله ﷺ في قوله : « الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره »^(١) والإيمان بالله هو ركن التوحيد الأعظم ويشمل الإيمان بربوبيته وأسمائه وصفاته وإفراده عز وجل بجميع ألوان العبادة تصديقاً لقولنا « لا إله إلا الله » وقد فصلنا أصول الاعتقاد في بحث « التربية » بما أغنى عن إعادته في هذا البحث فليراجع .

ولا يكفي في توحيد الأسماء والصفات وتوحيد الربوبية أن ثبت لله تعالى ما أثبتته لنفسه وما أثبتته له رسوله ﷺ إثباتاً بلا تشبيه وتنزيهاً بلا تعطيل ، بل ينبغي أن تتعبد قلوبنا لله عز وجل بصفات الربوبية ، وأسمائه وصفاته ، والتحقق بتوحيد المعرفة هو السبيل كذلك لتمام العبودية وكإلهاء لله عز وجل .

قال ابن القيم رحمه الله في وصف السابقين بالخيرات :

وجملة الأمر أنهم قوم قد امتلأت قلوبهم من معرفة الله ، وغمرت بمحبته وخشيته وإجلاله ومراقبته ، فسرت المحبة في أجزائهم ، فلم يبق فيها عرق ولا مفصل إلا وقد دخله الحب ، قد أنساهم حب ذكره غيره ، وأوحشهم أنسهم به ممن سواه ، قد فنوا بحبه عن حب من سواه ، ويذكره عن ذكر من سواه ، وبخوفه ورجائه والرغبة إليه والرغبة منه والتوكل عليه والإنابة إليه والسكون إليه والتذلل والانكسار بين يديه ، عن تعلق ذلك منهم بغيره ، فإذا وضع أحدهم جنبه على مضجعه صعدت أنفاسه إلى إلهه ومولاه واجتمع همه عليه ، متذكراً صفاته العلى وأسماءه الحسنى ، مشاهداً له في أسمائه وصفاته ، قد تجلت على قلبه أنوارها فانصبغ قلبه بمعرفته ومحبته ، فبات جسمه على فراشه يتجافى عن مضجعه ، وقلبه قد أوى إلى مولاه وحببيه فأواه إليه ، وأسجده بين يديه

(١) رواه البخارى (١١٤/١) الإيمان ، ومسلم (١٥٧/١ - ١٦٠) الإيمان .

خاضعاً خاشعاً ذليلاً منكسراً من كل جهة من جهاته ، فياها سجدة ما أشرفها من سجدة لا يرفع رأسه منها إلى يوم اللقاء .

وقيل لبعض العارفين : أيسجد القلب بين يدي ربه ، قال : إى والله بسجدة لا يرفع رأسه منها إلى يوم القيامة .

فشتان بين قلب يبيت عند ربه ، قد قطع في سفره إليه بيداء الأكوان وخرق حجب الطبيعة ، ولم يقف عند رسم ، ولا سكن إلى علم حتى دخل على ربه في داره فشاهد عز سلطانه وعظمة جلاله ، وعلو شأنه وبهاء كماله ، وهو مستوٍ على عرشه يدبر أمر عباده ، ويصعد إليه شئون العباد ، تعرض عليه حوائجهم وأعمالهم فيأمر فيها بما يشاء ، فينزل الأمر من عنده نافذاً كما أمر ، فيشاهد الملك الحق قيوماً بنفسه مقيماً لكل ما سواه ، غنياً عن كل من سواه فقيراً إليه «كل من عداه» ^(١) ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن : ٢٩] يغفر ذنباً ، ويفرج كرباً ، ويفك عانياً وينصر ضعيفاً ، ويجبر كسيراً ، ويغنى فقيراً ، ويميت ويحيى ، ويسعد ويشقى ، ويضل ويهدي ، وينعم على قوم ويسلب نعمته عن آخرين ، ويعز أقواماً ويذل آخرين ، ويرفع أقواماً ويضع آخرين ^(٢) .

إلى أن قال رحمه الله :

وجماع الأمر في ذلك إنما هو تكميل عبودية الله في الظاهر والباطن ، فتكون حركات نفسه وجسمه كلها في محبوبات الله ، وكإل عبودية العبد موافقته لربه في محبته ما أحبه ، وبذل الجهد في فعله ، وموافقته في كراهة ما كرهه ، وبذل الجهد في تركه ، وهذا إنما يكون للنفس المطمئنة لا للأمارة ولا للوامة فهذا كإل من جهة الإرادة والعمل .

وأما من جهة العلم والمعرفة فأن تكون بصيرته منفتحة في معرفة الأسماء والصفات والأفعال . له شهود خاص فيها ، مطابق لما جاء به الرسول ﷺ ،

(١) زيادة لا يستقيم المعنى إلا بها .

(٢) طريق المجرتين (٢٨٧) .

لا يخالف له ، فإن بحسب مخالفته له في ذلك يقع الانحراف ، ويكون مع ذلك قائماً بأحكام العبودية الخاصة التي تقتضيها كل صفة بخصوصها ، وهذا سلوك الأكياس الذين هم خلاصة العالم ، والسالكون على هذا الدرب أفراد من العالم ، طريق سهل قريب موصل طريق آمن ، أكثر السالكين في غفلة عنه ، ولكن يستدعى رسوخاً في العلم ومعرفة تامة به ، وإقداماً على رد الباطل المخالف له ولو قاله من قاله^(١) .

كذلك كانت تزكية النبي ﷺ لنفوس أصحابه من شرك الألوهية كلما سنحت فرصة . قال للصحابه يوماً على إثر سماء من الليل ، أتدرون ماذا قال ربكم الليلة ؟ قالوا ! الله ورسوله أعلم ، قال : قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر : فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب ، وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب «^(٢)

وقال ﷺ : لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ولكن قولوا : ما شاء الله ثم شاء فلان «^(٣) .

وكذلك قصة ذات الأنواط^(٤) وغير ذلك مما كان يزكى به النبي ﷺ قلوب أصحابه حتى صاروا أبر الأمة قلوباً وأعماقها علماً .

٢ - التزكية بفعل الواجبات وترك المحرمات :

وهذه تزكية واجبة بعد التزكية بالتوحيد ، وأولى ما يتقرب به العبد إلى ربه بعد توحيد الله عز وجل أداء الفرائض واجتناب المحرمات ، والعمدة في ذلك حديث الولي في صحيح البخاري عنه ﷺ قال : قال الله تعالى : « وما

(١) طريق المهجرتين (٢٩٩ ، ٣٠٠) .

(٢) رواه البخاري (٣٣٣/٢) صفة الصلاة ، ومسلم (٥٩/٢ ، ٦٠) الإيمان ، ومالك في الموطأ (١٩٢/١) الاستسقاء ، وأبو داود (٣٨٨٨) الطب والنسائي (١٦٥/٣) الاستسقاء .

(٣) رواه أبو داود (٤٩٥٩) الأدب ، وأحمد (٣٨٤/٥) وصححه الألباني في الصحيحة رقم (١٣٧) .

(٤) رواه البخاري (٢٨٣/١٠) اللباس ، ومسلم (٩٤/١) الإيمان .

تقرب إلى عبدى بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ^(١)

قال ابن حجر رحمه الله : ويستفاد منه أن أداء الفرائض أحب الأعمال إلى الله « قال الشوكاني : وجه ذلك أن النكرة وقعت في سياق النفي فتعم كل ما يصدق عليه معنى الشيء ، فلا يبقى شيء من القرب إلا وهو داخل في هذا العموم ، لأن كل قرينة كائنة ما كانت يقال لها شيء ، سواء كانت من الأفعال أو الأقوال ، أو مضممرات القلوب أو الخواطر الواردة على العبد أو التروك للمعاصي التي هي ضد فعلها .

قال الطوفي : الأمر بالفرائض جازم ويقع بتركها المعاقبة بخلاف النفل الأمرين ، وإن اشتركت مع الفرائض في تحصيل الثواب ، فكانت الفرائض أكمل ، فلذا كانت أحب إلى الله ، وأشد تقرباً ، فالفرض كالأس ، والنفل كالفرع والبناء ، وفي الإتيان بالفرائض على الوجه المأمور به امتثال الأمر واحترامه وتعظيمه بالانقياد إليه وإظهار عظمة الربوبية وذل العبودية ، فكان التقرب بذلك أعظم العمل .

قال الشوكاني رحمه الله : واعلم أن من أعظم فرائض الله سبحانه ترك معاصيه التي هي حدوده ، التي من تعداها كان عليه من العقوبة ما ذكره الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز ، ولا خلاف أن الله افترض على العباد ترك كل معصية كائنة ما كانت ، فكان ترك المعاصي من هذه الحيثية داخلاً تحت عموم قوله : « وما تقرب إلى عبدى بشيء أحب إلي مما افترضت عليه » بل دخول فرائض الترك للمعاصي أولى من دخول فرائض الطاعات كما يدل عليه حديث « إذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فلا تقربوه » ^(٢) .

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أفضل الأعمال أداء ما افترض الله ، والورع عما حرم الله ، وحسن النية فيما عند الله عز وجل ^(٣) ، والمقصود أن

(١) رواه البخارى (٢٣١/٤) ، وأبو نعيم في الحلية (٤/١) والبيهقى في شرح السنة (٢/١٤٢/١) - السلسلة الصحيحة ١٦٤٠ .

(٢) رواه مسلم (١٠٠/٩ ، ١٠١) الحج باب فرض الحج مرة .

(٣) ولاية الله والطريق إليها (٣٦٩) بتصرف واختصار .

أهل السنة يزكون أنفسهم بعد التوحيد بتكميل الفرائض من فعل الواجبات وترك المحرمات ، فلا يفتحون على أنفسهم أبواب النوافل ، وهم بعد مقصرون في أداء الفرائض ، كما يذهب كثير من الناس إلى الحج والعمرة كل عام ولا يؤدون زكاة أموالهم ، أو يهتمون ببناء المساجد وينفقون في أبواب البر لا بنية الزكاة الواجبة في المصارف الثمانية التي حددها الله عز وجل ويصح هنا قول القائل : من شغله الفرض عن النفل فهو معذور ومن شغله النفل عن الفرض فهو مغرور .

والله عز وجل لا يقبل النفل حتى تؤدي الفريضة ، فأهل السنة يزكون أنفسهم بالمشروع ، ومع ذلك يقدمون في العمل ما قدمه الله ورسوله ﷺ قال النبي ﷺ « نبدأ بما بدأ الله به » ثم تلا ﴿ إِنَّ الصَّغَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ﴾ [البقرة : ١٥٨] .

ومن تلبس الشيطان على العبد أن يشغله بالعمل المفضول عن الفاضل ، وقد ظهر أن الفرائض أفضل وأنفع للعبد من النوافل ، فينبغي أن يكمل العبد فرائضه أولاً ، ثم يزداد تقرباً وتحبباً إلى الله عز وجل بالنوافل .

٣ - التزكية بالنوافل

النوافل هي ما عدا الفرائض من جميع أجناس الطاعات ، وكل ما ندب الله سبحانه إليه ورغب فيه من غير حتم وافتراض ، وتختلف النوافل باختلاف ثوابها ، فما كان ثوابه أكثر كان فعله أفضل ، وتختلف كذلك باختلاف ماورد في الترغيب فيها ، فبعضها قد يقع الترغيب فيه ترغيباً مؤكداً ، وقد يلزمه النبي ﷺ مع الترغيب للناس في فعله .

قال النبي ﷺ : « ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه » (١) .

قال الحافظ رحمه الله : وقد استشكل بما تقدم أولاً أن الفرائض أحب

(١) جزء من حديث الولي وقد تقدم تخريجه ص (٢٢) .

العبادات المتقرب بها إلى الله فكيف لا تنتج المحبة ؟ والجواب أن ما كانت حاوية للفرائض مشتملة عليها ومكملة لها ، ويؤيده أن رواية أبي أمامة : « ابن آدم إنك لن تدرك ما عندى إلا بأداء ما افترضت عليك » .

قال الفاكهاني : معنى الحديث أنه إذا أدى الفرائض ودام على إتيان النوافل من صلاة وصيام وغيرهما أفضى به ذلك إلى محبة الله .

قلت : ويفهم منه أن العبد إذا قصر في الفرائض وأكثر من النوافل لا تكون هذه الطريق موصلة له إلى محبة الله عز وجل : فلا يتم التقرب بالنوافل حتى يتقرب أولاً بالفرائض ، فهذه سبيل التزكية عند أهل السنة .

وقال ابن هبيرة : ويؤخذ من قوله : « ما تقرب ... إلخ » أن النافلة لا تقدم على الفريضة ، لأن النافلة إنما سميت نافلة لأنها تأتي زائدة على الفريضة فما لم تؤد الفريضة لا تحصل النافلة ، ومن أدى الفرائض ثم زاد عليه النفل وأدام ذلك تحققت منه إرادة التقرب انتهى . وأيضاً فقد جرت العادة أن التقرب يكون غالباً بغير ما وجب على المتقرب كالهديّة والتحفة بخلاف من يؤدى ما عليه من خراج أو يقضى ما عليه من دين ، وأيضاً فإن من جملة ما شرعت له النوافل جبر الفرائض ، كما صح في الحديث « انظروا هل لعبدى من تطوع فتكمل به فريضته »^(١) الحديث بمعناه .

فتبين أن المراد من التقرب بالنوافل أن تقع ممن أدى الفرائض لا من أحلّها بها .

وقال الشوكاني رحمه الله : إن العبد لما كان معتقداً لوجوب الفرائض عليه ، وأنه أمر حتم يعاقب على تركها ، كان ذلك بمجرد حاملا له على المحافظة عليها والقيام بها ، فهو يأتي بها بالإيجاب الشرعى والعزيمة الدينية ، أما النوافل فهو يعلم أنه لا عقاب في تركها فإذا فعلها كان ذلك لمجرد التقرب إلى الرب خالياً عن حتم عاطلا عن حزم ، فجوزى على ذلك بمحبة الله له ، وإن

(١) رواه أبو داود (٨٥٠) الصلاة والنسائي (٢٣٢/١ ، ٢٣٣) والحاكم (٢٦٢/١) الصلاة وصححه على شرط مسلم وقال الذهبي صحيح وصححه كذلك عبد القادر الأرناؤوط .

كان أجر الفرض أكثر ، فلا ينافي أن تكون المجازاة بما كان الحامل عليه هو محبة التقرب إلى الله أن يحب الله فاعله لأنه فعل مالم يوجهه الله عليه ، ولا عزم عليه بأن يفعله .

ومثال هذا في الأفعال المشاهدة في ابن آدم أن السيد إذا أمر عبده بأن يقضى له في كل يوم حاجة أو حوائج ، وكذلك أمر من له من الممالك بمثل ذلك ، فكان أحدهم يقضى له تلك الحوائج ثم يقضى له حوائج أخرى يعلم أن سيده يحب قضاءها وتحسن لديه ، والآخرون لا يقضون له إلا تلك الحوائج التي أمرهم السيد بها ، فمعلوم أن ذلك العبد الذي صار يأتي له كل يوم بما أمره به وبغيره مما يحبه ، يستحق المحبة من السيد محبة زائدة على محبته لكل واحد منهم ، فالمراد من الحديث هذه المحبة الزائدة الحاصلة من فعله لما يحبه سيده من غير أمر منه ، مع قيامه بما قام به غيره من امتثال أمر السيد والتبرع بالزيادة التي لم يأمره بها^(١) .

وهذه مجموعة من نوافل الطاعات الثابتة عن النبي ﷺ أذكر بها من أكمل فرائضه وأحب أن يزداد زكاة ومحبة لله عز وجل .

١ - نوافل الصلاة :

من نوافل الصلاة المرغوب فيها المؤكد في استحبابها رواتب الفرائض وهي كما في الصحيحين وغيرهما من حديث عبد الله بن عمر قال : « حفظت عن رسول الله ﷺ وآله : ركعتين قبل الظهر ، وركعتين بعد الظهر ، وركعتين بعد المغرب ، وركعتين بعد العشاء ، وركعتين قبل الغداة »^(٢) .

وأخرجه مسلم بمعناه لكن زاد : « قبل الظهر أربعاً »^(٣)

وفضل هذه النوافل مارواه مسلم وأهل السنن من حديث أم حبيبة بنت أبي

(١) ولاية الله الطريق إليها (٤١٩) بتصرف .

(٢) رواه البخاري (٤٨/٣) التهجذ وفيه زيادة « وركعتين بعد الجمعة » ، ومسلم (٧/٦ ، ٨) الصلاة وأبو داود (١٢٣٩) بمعناه .

(٣) رواية مسلم (٨/٦) الصلاة عن عائشة رضي الله عنها .

سفيان عن النبي ﷺ قال : « من صلى في يوم وليلة اثنتى عشرة سجدة سوى المكتوبة ، بنى له بيت في الجنة »^(١) .

ومن نوافل الصلاة المؤكدة قيام الليل :

روى مسلم عنه ﷺ قال : « أفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل »^(٢) .
وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يصلى ما بين أن يفرغ من صلاة العشاء إلى الفجر إحدى عشرة ركعة ، يسلم بين كل ركعتين ، ويوتر بواحدة »^(٣) .

ومن النوافل صلاة الضحى

والأحاديث في مشروعيها متواترة منها ما في الصحيحين عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : « أوصانى خليلي ﷺ بثلاث : « صيام ثلاثة أيام من كل شهر وركعتي الضحى وأن أوتر قبل أن أنام »^(٤) .

ومن نوافل الصلاة المؤكدة صلاة تحية المسجد :

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلى ركعتين »^(٥) .

ومن النوافل : الصلاة عقب الوضوء .
والصلاة بين الأذان والإقامة .
ومطلق التنفل إلا في أوقات الكراهة .

(١) رواه مسلم (٦/٦) الصلاة : وأبو داود (١٢٣٧) أبواب التطوع .

(٢) رواه مسلم (٥٥/٨) الصوم من حديث أنس بن مالك .

(٣) رواه البخارى (٢٠/٣) التهجد بلفظ « ثلاث عشرة منها الوتر وركعتا الفجر ، ورواه مسلم (١٦/٦) الصلاة ، وأبو داود (١٣٢٢) أبواب صلاة الليل .

(٤) رواه البخارى (٥٦/٣) التهجد، رواه مسلم (٢٣٤/٥) الصلاة عن أنس بن مالك ورواه عنه عن أنس بن مالك .

أبى الدرداء (٢٣٥/٥) .

(٥) رواه البخارى (٤٨/٣) التهجد و مسلم (٢٢٧/٥) الصلاة ومالك في الموطأ (١٦٢/١) قصر الصلاة ، والثلاثة .

٢ - نوافل الصيام :

صوم شهر المحرم روى مسلم وأهل السنن أن النبي ﷺ سئل أى الصيام بعد شهر رمضان أفضل ؟ فقال : «شهر الله المحرم»^(١)

ومنه صيام يوم عرفة ويوم عاشوراء

عن أنى قتادة قال : قال رسول الله ﷺ : « صوم يوم عرفة يكفر سنتين ماضية ومستقبله ، وصوم يوم عاشوراء يكفر سنة ماضية »^(٢) .

ومنه صيام ست من شوال

عن أنى أيوب عن رسول الله ﷺ قال : « من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال فذلك صيام الدهر »^(٣) .

ومنه صوم شعبان

أخرج أحمد وأهل السنن من حديث أم سلمة أن النبي ﷺ لم يكن يصوم من السنة شهراً تاماً إلا شعبان يصل به رمضان^(٤) . وحسنه الترمذى والمعنى يكثر من صيام شعبان لأنه لم يثبت أن النبي ﷺ صام شهراً كاملاً إلا رمضان .

ومنه مطلق التنفل ويكفى فى مطلق التنفل بالصيام قوله ﷺ : « من صام يوماً فى سبيل الله باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفاً »^(٥) .

(١) رواه مسلم (٥٥/٨) الصوم والبلغوى فى شرح السنة (٣٤١/٦) الصوم .

(٢) رواه مسلم (٥١/٨) الصيام وأبو داود (٢٤٠٨) الصوم .

(٣) رواه مسلم (٢٦/٨) الصيام وأحمد (٤١٧/٥) (٤١٩/٥) ، وأبو داود (٢٤١٦) الصوم والترمذى (٢٩٠/٣) الصوم .

(٤) رواه الدرهمى (١٧/٢) قال فى تحقيق شرح السنة ورجاله ثقات رواه أحمد (٨٤/٦ ، ١٤٣) والنسائى (١٩٩/٤) الصوم وأبو داود (٢٤١٨) الصوم بمعناه عن عائشة رضى الله عنها .

(٥) رواه البخارى (٤٧/٦) الجهاد ، ومسلم (٣٣/٨) الصوم ، والترمذى (١٢٤/٧) الجهاد ، والنسائى (١٧٣/٤) الصوم .

٣ - نوافل الحج والعمرة :

في الصحيحين وغيرهما أن النبي ﷺ قال : « العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة »^(١) وقال ﷺ : « من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه »^(٢) .

٤ - نوافل الصدقة :

قال الله عز وجل : ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ [سبأ : ٣٩] .

عن أنى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان من السماء فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقاً خلفاً ، ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكاً تلفاً »^(٣) وفي صحيح مسلم من حديث أنى أمانة قال : قال رسول الله ﷺ : « يا ابن آدم إنك إن تبذل الفضل خير لك وإن تمسكه شر لك ولا تلام على كفاف وابدأ بمن تعول ، واليد العليا خير من اليد السفلى »^(٤) .

وفي الصحيحين وغيرهما من حديث أسماء بنت أبي بكر قالت : قال لي رسول الله ﷺ وآله « لا توكل فيوكي الله عليك »^(٥) أى لا تبخل .

٥ - نوافل الأذكار :

قال الله تعالى : ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ [العنكبوت : ٤٥] أى أكبر مما سواه من الأعمال الصالحة .

(١) رواه البخارى (٥٩٧/٣) العمرة ، ومسلم (١١٧/٩ ، ١١٨) الحج والترمذى (١٦٥/٤) الحج .

(٢) رواه البخارى (٣٨٢/٣) الحج ، ومسلم (١١٩/٩) الحج والترمذى (٢٦/٤) الحج .

(٣) رواه البخارى (٣٠٤/٣) الزكاة ، ومسلم (٩٥/٧) الزكاة .

(٤) رواه مسلم (١٢٧/٧) الزكاة ، والترمذى (٢٠٧/٩) أبواب الزهد .

(٥) رواه البخارى (٣٠٠/٣) الزكاة ، (٣٠١/٣) الزكاة ومسلم (١١٨/٧) الزكاة .

وقال عز وجل : ﴿ فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ [البقرة : ١٥٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الجمعة : ١٠] .

وفي الصحيحين وغيرهما من حديث أبى موسى : « الذى يذكر ربه والذى لا يذكر ربه مثل الحى والميت »^(١) .

٦ - التقرب والتزكية بالدعاء :

قال النبى ﷺ : (الدعاء هو العبادة) ثم تلا هذه الآية ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾^(٢) [غافر : ٦٠] .

وقال عز وجل : ﴿ أَمَّنْ يَجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾ [النمل : ٦٢] .

وقال : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة : ٨٦] .

وعن أنس مرفوعاً « لا تعجزوا فى الدعاء فإنه لن يهلك مع الدعاء أحد »^(٣) .

وعن أبى سعيد عنه ﷺ : « ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث : إما أن يعجل له دعوته ، وإما أن يدخرها له فى الآخرة وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها »^(٤) .

(١) رواه البخارى (٢٠٨/١١) الدعوات ومسلم (٦٨/٦) صلاة المسافرين بلفظ « مثل البيت الذى لا يذكر الله فيه والبيت الذى يذكر الله فيه مثل الحى والميت » .

(٢) رواه الترمذى (٢٦٧/١٢) التفسير وقال هذا حديث حسن صحيح ورواه ابن حبان (٢٣٩٦) الأدعية والحاكم (٤٩١/١) الدعاء وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقال الذهبى : صحيح .

(٣) رواه ابن حبان (٢٣٩٨ موارد) الأدعية والحاكم (٤٩٤/١) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقال الذهبى : صحيح .

(٤) رواه الحاكم (٤٩٣/١) وقال هذا حديث صحيح إلا أن الشيخين لم يخرجاه وقال الذهبى صحيح ورواه الترمذى بمعناه عن أبى الزبير عن جابر (٢٧٣/١٢) .

وعن سلمان عنه عليه السلام قال « إن ربكم حيي كريم يستحي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفراً خائبين » (١) .

٧ - التزكية والتقرب بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم

ومما تزكو النفس بملازمته والاستكثار منه الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن أوى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من صلى عليّ واحدة صلى الله عليه عشرأ » (٢) .

فانظر إلى هذا الأمر العظيم والجزاء الكريم ، يصلى العبد على الرسول صلى الله عليه وسلم واحدة ، فيصلى عليه خالق العالم ورب الكل عز وجل عشر مرات ؟ فهذا ثواب لا يعادله ثواب وجزاء لا يساويه جزاء وأجر لا يماثله أجر . وبعد أن ذكرنا هذه المجموعة الطيبة من النوافل على سبيل التذكير لمن أراد أن يزكى نفسه بالنوافل بعد الفرائض ، يظهر جلياً كيف أغنانا الله بالوسائل المشروعة لتزكية النفوس ، ونوع الأعمال الصالحة التى يدخل العبد بها على الله عز وجل .

قال ابن القيم رحمه الله : من الناس من يكون سيد عمله الذكر وقد جعله زاده لمعاده ورأس ماله لمآله ، فمتى فتر عنه أو قصر رأى أنه قد غبن وخسر ، ومن الناس من يكون سيد عمله وطريقه الصلاة فمتى قصر فى ورده منها ، أو مضى عليه وقت وهو غير مشغول بها أو مستعد لها ، أظلم عليه وقته ، وضاق صدره ، ومن الناس من يكون طريقه الإحسان والنفع المتعدى ، كقضاء الحاجات وتفريج الكربات وإغاثة اللهفات وأنواع الصدقات ، قد فتح له فى هذا وسلك منه طريقاً إلى ربه ، ومن الناس من يكون طريقه الصوم ، فهو متى أفطر تغير عليه قلبه وساءت حاله ، ومن الناس من يكون طريقه تلاوة القرآن

(١) رواه ابن حبان (٣٩٩) موارد الادعية. والحاكم (٤٩٧/١) وقال اسناده صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي .

(٢) رواه مسلم (١٢٨/٤) الصلاة ، والترمذى (٢٧٠/٤) الصلاة ، وأبو داود (١٥١٦) الصلاة ، والنسائى (٥٠/٣) السهو عن أنس وفيه زيادة « وحطت عنه عشر خطيئات ورفعت له عشر درجات » .

القرآن ، وهى الغالب على أوقاته ، وهى أعظم أوراده ، ومنهم من يكون طريقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، قد فتح الله له فيه ونفذ منه إلى ربه ، ومنهم من يكون طريقه الذى نفذ فيه الحج والاعتمار ، ومنهم من يكون طريقه قطع العلائق ، وتجريد الهمة ، ودوام المراقبة ، ومراعاة الخواطر ، وحفظ الأوقات أن تذهب ضائعة ، ومنهم جامع المنفذ السالك إلى الله فى كل وادٍ ، الواصل إليه من كل طريق ، فهو جعل وظائف عبوديته قبلة قلبه ونصب عينه يؤمها أين كانت ويسير معها حيث سارت ، قد ضرب مع كل فريق بسهم ، فأين كانت العبودية وجدته هناك إن كان علم وجدته مع أهله ، أو جهاد وجدته فى صف المجاهدين ، أو صلاة وجدته فى القانتين ، أو ذكر وجدته فى الذاكرين ، أو إحسان ونفع وجدته فى زمرة المحسنين ، أو محبة ومراقبة وإنابة إلى الله وجدته فى زمرة المحبين المنيين ، يدين بدين العبودية أنى استقلت ركابها ، ويتوجه إليها حيث استقرت مضاربها ، لو قيل له : ما تريد من الأعمال ؟ لقال : أريد أن أنفذ أوامر ربي حيث كانت وأين كانت ، جالبة ما جلبت ، مقتضية ما اقتضت ، جمعتنى أو فرقتنى ، ليس لى مراد إلا تنفيذها والقيام بأدائها ، مراقباً له فيها ، عاكفاً عليه بالروح والقلب والبدن والسر ، قد سلمت له المبيع منتظراً منه تسليم الثمن : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ ﴾ [التوبة : ١١١] .

فهذا هو العبد السالك إلى ربه النافذ إليه حقيقة .^(١)

فهذه طريقة ومناهج التزكية عند السلفيين أهل السنة والجماعة ، جعلها الله عز وجل كثيرة متنوعة جداً ؛ لاختلاف استعدادات العباد وقوابلهم ، ولو جعلها نوعاً واحداً مع اختلاف الأذهان والعقول وقوة الاستعدادات وضعفها لم يسلكها إلا واحد بعد واحد ، مع أن كل هذه طريق واحد ، وهو صراط الله المستقيم كما قال تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ، وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ [الأنعام : ١٥٣] .

(١) طريق المهجرتين وباب السعادتين (١٧٩) .

منهج التزكية عند الصوفية

لاشك أن الصوفية من أجهل الفرق الإسلامية بآثار النبوة ، وأكثرها ترويحاً للأحاديث الضعيفة والموضوعة ، وذلك واضح جلي في مصنعاتهم فإنها مليئة بالأخبار الموضوعة ومالا أصل له ، أضف إلى ذلك كثرة الحكايات والمنامات والخرافات يعوضون بها فقرهم بالآثار النبوية والسنن المصطفوية ، ويظهر ذلك كذلك في مناهج التزكية عندهم ، حيث يطلبون زكاة نفوسهم بالإنشاد والمكاء والتصدية وتكلف ما لم يشرعه الله عز وجل ولا رسوله ﷺ من العبادات ، وهذه بعض وسائلهم في التزكية .

١ - الصوفية يزكون أنفسهم - زعموا - بالمكاء والتصدية والغناء والتصفيق ويتواجدون عند ذلك حتى روى بعضهم كذباً أن النبي ﷺ أنشده أعرابى شعراً فقال :

قَدْ لَسَعَتْ حَيَّةُ الْهَوَى كَيْدِي
فَلَا طَبِيبَ لَهَا وَلَا رَاقِي
سِوَى الْحَبِيبِ الَّذِي شَغِفْتُ بِهِ
فَمِنْهُ دَائِي وَمِنْهُ نَزِيقِي

وأن النبي ﷺ يتواجد حتى سقطت البردة عن منكبيه وقال : « ليس بكريم من لم يتواجد عند ذكر المحبوب » .

قال شيخ الإسلام : وهذا حديث كذب بإجماع العارفين بسيرة رسول الله ﷺ وسنته وأحواله .^(١)

وقال كذلك :

وبالجملة فقد عرف بالاضطرار من دين الإسلام أن النبي ﷺ لم يشرع لصالحى أمته وعبادهم وزهادهم أن يجتمعوا على استماع الأبيات الملحنة مع ضرب بالكف أو ضرب بالقضيب أو الدف ، كما لم يبح لأحد أن يخرج عن

(١) مجموع الفتاوى (١١/٥٩٨) .

متابعته واتباع ماجاء به من الكتاب والحكمة لا في باطن الأمر ولا في ظاهره ،
ولا لعامى ولا لخاصى ، ولكن رخص النبي ﷺ في أنواع من اللهو في العرس
ونحوه كما رخص للنساء أن يضربن بالدف في الأعراس والأفراح ، وأما الرجال
على عهده فلم يكن أحدٌ منهم يضرب بالدف ولا يصفق بكف ، بل قد ثبت
عنه في الصحيح أنه قال : التصفيق للنساء والتسييح للرجال ، ولعن المتشبهات
من النساء بالرجال ، والمتشبهين من الرجال بالنساء .

ولما كان الغناء والضرب بالدف والكف من عمل النساء كان السلف
يسمون من يفعل ذلك من الرجال مخنثاً ، ويسمون الرجال المغنيين مخانثاً وهذا
مشهور من كلامهم .^(١)

إلى أن قال رحمه الله :

وبالجملة فهذه (مسألة السماع) تكلم كثير من المتأخرين في السماع هل
هو محظور أو مكروه أو مباح ، وليس المقصود بذلك مجرد رفع الحرج بل
مقصودهم بذلك أن يتخذ طريقاً إلى الله يجتمع عليه أهل الديانات لصلاح
القلوب والتشويق إلى المحبوب والتخويف من المرهوب والتحزن على فوات
المطلوب ، فتستنزى به الرحمة وتستجلب به النعمة وتحرك به مواجيد أهل
الإيمان وتستجلى به مشاهد أهل العرفان حتى يقول بعضهم ، إنه أفضل لبعض
الناس أو للخاصة من سماع القرآن من عدة وجوه ، حتى يجعلونه قوتاً
للقلوب ، وغذاءً للأرواح ، وحادياً للنفوس ، يحدوها إلى السير إلى الله ويحثها
على الإقبال عليه .

ولهذا يوجد من اعتاده واغتنى به لا يحن إلى القرآن ، ولا يفرح به ، ولا
يجد في سماع الآيات كما يجد في سماع الأبيات ، بل إذا سمعوا القرآن سمعوه
بقلوب لاهية وألسن لاغية ، وإذا سمعوا سماء المكاء والتصديّة خشعت
الأصوات ، وسكنت الحركات وأصغت القلوب وتعاظت المطلوب .

(١) مجموع الفتاوى (١١ / ٥٦٧ ، ٥٦٨) .

وقال رحمه الله : ومن كانت له خبرة بحقائق الدين وأحوال القلوب ومعارفها وأذواقها ومواجيدها عرف أن سماع المكاء والتصدية لا يجلب للقلوب منفعة ولا مصلحة إلا وفي ضمن ذلك من الضرر والمفسدة ما هو أعظم منه ، فهو للروح كالخمر للجسد ، يفعل في النفوس فعل حميا الكؤوس ، ولهذا يورث أصحابه سكرأ أعظم من سكر الخمر فيجدون فيه لذة بلا تمييز ، كما يجد الشارب بل يحصل لهم أكثر وأكبر مما يحصل لشارب الخمر ، يصددهم ذلك عن ذكر الله وعن الصلاة أعظم مما يصددهم الخمر ، ويوقع بينهم العداوة والبغضاء أعظم من الخمر ، حتى يقتل بعضهم بعضاً من غير مس يد بل بما يقترون بهم من الشياطين ، فإنهم يحصل لهم أحوال شيطانية بحيث تنزل عليهم الشياطين في تلك الحال «^(١) .

وقال ابن الجوزي ما ملخصه : —

هذه الطائفة إذا سمعت الغناء تواجدت وصفقت وصاحت ومزقت الثياب ، وقد لبس عليهم إبليس في ذلك وبالع والاحتجوا بما روى عن سلمان : لما نزلت ﴿ وَإِنْ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ صاح سلمان الفارسي صيحة ووقع على رأسه ثم خرج هارباً ثلاثة أيام . والجواب أن ما ذكره عن سلمان فمحال وكذب ، ثم ليس له إسناد والآية نزلت بمكة وسلمان إنما أسلم بالمدينة ، ولم ينقل عن أحد من الصحابة مثل هذا أصلاً .

قال واعلم وفقك الله أن قلوب الصحابة كانت أصهى القلوب ، وما كانوا يزيدون عند الوجد على البكاء والخشوع ، قال : وهذا حديث العرياض بن سارية « وعظنا رسول الله ﷺ موعظة ذرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب »^(٢) قال أبو بكر الآجري : ولم يقل صرخنا ولا ضربنا صدورنا كما يفعل كثير من الجهال الذين يتلاعب بهم الشيطان .

(١) مجموع الفتاوى (٥٧٣/١١ ، ٥٧٤) .

(٢) رواه أبو داود (٣٥٩/١٢ ، ٣٦٠) السنة ، والترمذي (١٤٣/١٠ ، ١٤٤) أبواب العلم ، وقال الترمذي حديث حسن صحيح ، وابن ماجه (٤١) المقدمة وصححه الألباني .

قال : والتصفيق منكر يطرب ويخرج عن حد الاعتدال ويتنزه عن مثله العقلاء ويتشبه فاعله بالمشركين فيما كانوا يفعلونه عند البيت من التصدية ، وهى التى ذمهم الله عز وجل بها فقال : ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً ﴾ [الأنفال : ٣٥] فالمكاء الصغير والتصدية التصفيق .

قال : فإذا قوى طربهم رقصوا ، وقد احتج بعضهم بقوله تعالى لأيوب ﴿ أَرَكُضْ بِرِجْلِكَ ﴾ [ص : ٤٢] قال : وهذا الاحتجاج بارد لأنه لو كان أمر بضرب الرجل فرحاً كان لهم فيه شبهة ، وإنما أمر بضرب الرجل لينبع الماء . قال ابن عقيل : أين الدلالة فى مبتلى أمر عند كشف البلاء بأن يضرب برجله الأرض لينبع الماء إعجازاً من الرقص . [الإسراء : ٣٧]

قال أبو الوفاء بن عقيل : وقد نص القرآن على النهى عن الرقص فقال عز وجل ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ ودم المختال فقال ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُزُورٍ ﴾ [لقمان : ١٨] .

قال ابن الجوزى : فإذا تمكن الطرب من الصوفية فى حال رقصهم جذب أحدهم بعض الجلوس ليقوم معه ، ولا يجوز على مذهبهم للمجذوب أن يقعد ، فإذا قام قام الباكون تبعاً له ، فإذا كشف أحدهم رأسه كشف الباكون رؤوسهم موافقة له ، ولا يخفى على عاقل أن كشف الرأس مستقبح ، وفيه إسقاط مروءة وترك أدب ، وإنما يقع فى المناسك تعبداً لله وذلاً له .

٢ - الصوفية يَدْعُونَ تَزْكِيَةَ أَنْفُسِهِمْ بِالْأَسْمِ الْمَفْرَدِ مَظْهَرًا أَوْ مَضْمَرًا قَالَ شيخ الإسلام : - الشرع لا يستحب من الذكر إلا ما كان كلاماً تاماً مفيداً مثل « لا إله إلا الله » ، ومثل « الله أكبر » ، ومثل « سبحان الله » ، ومثل « لا حول ولا قوة إلا بالله » .

فأما الأسم المفراد مظهراً مثل « الله » « الله » أو مضمراً مثل « هو » « هو » فهذا ليس بمشروع فى كتاب ولا سنة ، ولا هو مأثور أيضاً عن أحد من سلف الأمة ، ولا عن أعيان الأمة المقتدى بهم ، وإنما لهج به قوم من ضلال المتأخرين .

وربما غلا بعضهم حتى يجعلوا الاسم المفرد للخاصة ، وذكر الكلمة التامة للعامة ، وربما قال بعضهم « لا إله إلا الله للمؤمنين ، و « الله » للعارفين وهو » للمحققين وربما اقتصر أحدهم في خلوته أو في جماعته على « الله الله الله » أو على « هو » أو « ياهو » أو « لاهو إلا هو » وربما ذكر بعض المصنفين في الطريق تعظيم ذلك .

وأما ما يوهمه طائفة من غالطى المتعبدین في قوله تعالى : ﴿ قُلْ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ ﴾ ويتوهمون أن المراد قول هذا الأسم فخطأ واضح ، ولو تدبروا ما قبل هذا تبين مراد الآية فإنه سبحانه قال : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا : مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَآءِ آبَاؤُكُمْ قُلْ اللَّهُ ﴾ أى قل الله أنزل الكتاب الذى جاء به موسى ، فهذا كلام تام وجملة أسمية مركبة من مبتدأ وخبر .

إلى أن قال : وكذلك بالأدلة العقلية الذوقية ، فإن الاسم وحده لا يعطى إيماناً ولا كفرةً ولا هدى ولا ضلالة ولا علماً ولا جهلاً ، ولو كرر الإنسان اسم الله ألف مرة لم يصر بذلك مؤمناً ولم يستحق ثواب الله ولا جنته ، فإن الكفار من جميع الأمم يذكرون الاسم المفرد سواء أقرؤا به وبوحدانيته أم لا . فإن قيل فالذاكر والسامع للاسم المجرد قد يحصل له وجد محبة وتعظيم لله ونحو ذلك .

قلت : نعم ويثاب على ذلك الوجد المشروع والحال الإيماني ، لا لأن الاسم مستحب ، وإذا سمع ذلك حرك ساكن القلب ، وقد يتحرك الساكن بسماع ذكر محرم أو مكروه ، حتى قد يسمع المسلم من يشرك بالله أو يسبه فيثور في قلبه حال وجد ومحبة لله بقوة نفرتة وبغضه لما سمعه .

والعبد أيضاً قد يدعوه داع إلى الكفر أو المعصية فيستعصم ويمتنع ويورثه ذلك إيماناً وتقوى ، وليس السبب مأموراً به ، وقد قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ

وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿ [آل عمران : ١٧٣] ففرق بين أن يكون نفس السبب موجباً للخير ومقتضياً ، وبين أن لا يكون ، وإنما نشأ الخير من المحل .

فثبت بما ذكرناه أن ذكر الاسم المجرد ليس مستحباً ، فضلاً عن أن يكون هو ذكر الخاصة .

وأبعد من ذلك ذكر « الاسم المضمَر » وهو « هو » فإن هذا بنفسه لا يدل على معنى ، وإنما هو بحسب ما يفسره من مذكور أو معلوم ، فيبقى معناه بحسب قصد المتكلم ونيته ، ولهذا قد يذكر به من يعتقد أن الحق الوجود المطلق ، وقد يقول : لا هو إلا هو ، ويسرى قلبه في وحدة الوجود ، ومذهب فرعون والإسماعيلية وزنادقة هؤلاء المتصوفة المتأخرين ، بحيث يكون قوله « هو » كقوله « وجوده » وقد يعنى بقوله « لا هو إلا هو » أى أنه هو الوجود وأنه ما ثم خلق أصلاً ، وأن الرب والعبد والحق والخلق شئ واحد كما بينته من مذهب الاتحادية ، ومن أسباب هذه الاعتقادات والأحوال الفاسدة الخروج عن الشريعة والمنهاج الذى بعث به الرسول إلينا ﷺ ، فإن البدع هى مبادئ الكفر ومظان الكفر ، كما أن السنن المشروعة هى مظاهر الإيمان ومقوية للإيمان ، فإنه يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية .

٣ - الصوفية يَدْعُونَ تركية أنفسهم - بتحريم ما أحل الله من المطاعم والمشارب ولبس الصوف وتكلف ما لم يشرعه الله عز وجل من العبادات : قال ابن الجوزى رحمه الله : - وقد بالغ إبليس فى تلييسه على قدماء الصوفية فأمرهم بتقليل المطعم وخشونته ، ومنعهم شرب الماء البارد ، وكان فى القوم من يبقى الأيام لا يأكل إلا أن تضعف قوته ، ومنهم من يتناول كل يوم الشئ اليسير الذى لا يقيم البدن ، وقد كان منهم قوم لا يأكلون اللحم حتى قال بعضهم : أكل درهم من اللحم يقسى القلب أربعين صباحاً .

إلى أن قال رحمه الله : وقد صنف لهم أبو عبد الله محمد بن على الترمذى كتاباً سماه رياضة النفوس قال فيه : فينبغى للمبتدى فى هذا الأمر أن يصوم شهرين متتابعين توبة من الله ، ثم يفطر فيطعم اليسير ، ويأكل كسرة كسرة ،

ويقطع الإدام والفواكه واللذة ومجالسة الإخوان ، والنظر في الكتب ، وهذه كلها أفرار للنفس ؛ فيمنع النفس لذتها حتى تمتلئ غمماً .

إلى أن قال : وهذا الذى نهى عنه من التقلل الزائد الحد قد انعكس في صوفية زماننا فصارت همهم في المآكل ، كما كانت همة متقدميهم في الجوع^(١) .

أما لبس الصوف فقد كانوا يلبسون الصوف يتقربون بذلك إلى الله عز وجل ، ويخجلون بأن النبي ﷺ لبس الصوف ، وأما لبسه إياه فقد لبس النبي ﷺ كذلك القطن والكتان ، وما روى في فضل لبس الصوف فمن الموضوعات التى لا تثبت ، بل تعتمد لبس الصوف والدون من الملابس فمن البدع التى تخالف ما كان عليه السلف الصالح رضى الله عنهم .

قال ابن الجوزى : وقد كان السلف يلبسون الثياب المتوسطة لا المرتفعة ولا الدون ويتخيرون أجودها للجمعة والعيد ولقاء الإخوان ولم يكن غير الأجود عندهم قبيحاً^(٢) .

وقال : واعلم أن اللباس الذى يزرى بصاحبه يتضمن إظهار الزهد ، وإظهار الفقر ، وكأنه لسان شكوى من الله عز وجل ، ويوجب احتقار اللباس ، وكل ذلك مكروه ومنهى عنه . وقال : وقد كان من الصوفية من إذا لبس ثوباً خرق بعضه وربما أفسد الثوب الرفيع القدر^(٣) .

٤ - الصوفية يدعون تزكية أنفسهم بالرهبانية وترك النكاح قال ابن الجوزى رحمه الله : النكاح مع خوف العنت واجب ، ومن غير خوف العنت سنة مؤكدة عند جمهور الفقهاء ، ومذهب أبى حنيفة وأحمد بن حنبل أفضل من جميع النوافل ، لأنه سبب في وجود الولد قال ﷺ : « تناكحوا

(١) تلبس ابليس (٢٠٦ - ٢٢١) باختصار .

(٢) تلبس ابليس (١٩٨) .

(٣) تلبس ابليس (٢٠٠) .

تناسلوا»^(١) . وقال ﷺ «النكاح من سنتي فمن رغب عن سنتي فليس مني»^(٢) . قال : وقد لبس إبليس على كثير من الصوفية فمنعهم من النكاح فقدماءهم تركوا ذلك تشاغلا بالتعبد ورأوا النكاح شاغلا عن طاعة الله عز وجل ، وهؤلاء وإن كانت بهم حاجة إلى النكاح أو بهم نوع شوق إليه فقد خاطروا بأبدانهم وأديانهم ، وإن لم يكن بهم حاجة إليه فاتتهم الفضيلة ، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : « وفي بضع أحدكم صدقة قالوا : يأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر قال : أرأيتم لو وضعها في الحرام كان عليه وزر ؟ قالوا : نعم قال : كذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر »^(٣) .

ومنهم من قال : النكاح يوجب الميل إلى الدنيا فعن أبي سليمان الدراني أنه قال : إذا طلب الرجل الحديث ، أو سافر في طلب المعاش ، أو تزوج فقد ركن إلى الدنيا .

قال : فأما جماعة من متأخري الصوفية فإنهم تركوا النكاح ليقال زاهد ، والعوام تعظم الصوفي إذا لم تكن له زوجة ، فيقولون ما عرف امرأة قط . قال أبو حامد : ينبغي أن لا يشغل المريد نفسه بالتزويج ، فإنه يشغله عن السلوك ، ويأنس بالزوجة ، ومن أنس بغير الله شغل عن الله .

قال ابن الجوزي : - وإني لأعجب من كلامه أترأه ما علم أن من قصد عفاف نفسه ووجود ولد أو عفاف زوجته فإنه لم يخرج عن جادة السلوك ، أو

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى (٧٨/٧) بلفظ « تزوجوا فإن مكاثركم الأمم يوم القيامة ولا تكونوا كرهبانية النصارى ... » الحديث عن أبي أمامة وصححه الألباني بشواهد - الصحيحة ١٧٨٢ .

(٢) رواه ابن ماجه (١٨٤٦) النكاح عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ « النكاح من سنتي فمن لم يعمل بسنتي فليس مني » الحديث حسنه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٤٩٦) .

(٣) رواه أبو داود (١٢٧١) الصلاة والحديث أصله في صحيح مسلم (٢٣٣/٥) صلاة المسافرين وأوله « يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة وليس فيه هذه الزيادة وصحح الألباني رواية أبي داود المذكورة .

يرى الأنس الطبيعي بالزوجة ينافي أنس القلوب بطاعة الله تعالى ، والله تعالى قد
مَنَّ عَلَى الْخَلْقِ بقوله : ﴿ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ
بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [الروم : ٢١]

وفي الحديث الصحيح عن جابر رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال له « هلا
تزوجت بكرةً تلاعبها وتلاعبك »^(١) وما كان بالذى يدلّه على ما يقطع أنسه
بالله تعالى ، أترى رسول الله ﷺ لما كان ينبسط إلى نسائه ويسابق عائشة
رضى الله عنها أكان خارجاً عن الأنس بالله ، هذه كلها جهالات بالعلم .
إلى أن قال :- وقد حمل الجهل أقواماً فحبُّوا أنفسهم ، وزعموا أنهم فعلوا
ذلك حياة من الله تعالى ، وهذه غاية الحماقة ؛ لأن الله تعالى شرف الذكر على
الأنثى بهذه الآلة ، وخلقها لتكون سبباً للتناسل ، والذي يَحْبُّ نفسه يقول
بلسان الحال الصواب ضد هذا .^(٢)

وقد أخذ الصوفية هذه الرهبانية من النصارى وصرحوا في كتبهم بإعجابهم
برهبانية النصارى :

يقول الأستاذ دمشقية ما ملخصه

وهذا الاعتزال الصوفي ليس مصدره إسلامياً وإنما مصدره رهبان النصارى
وربما ضاعفهم عليه عول الصوفية وآثار هذا الإعجاب تبدو ظاهرة جليلة في كتاب
الإحياء .

فالغزالي يذكر في الإحياء قصة بقلم إبراهيم بن آدم المعرفة والحكمة من راهب
نصراني يقول : قال إبراهيم بن أدهم : تعلست المعرفة من راهب يقال له
سمعان .

وروى عنه الغزالي أيضاً قوله : سألت بعض الرهبان : من أين تأكل ؟
فقال : ليس هذا العلم عندي ولكن سل ربي من أين يطعمني .

(١) رواه البخاري (٨١/٣ ، ٤٨٩) ومسلم (١٧٦/٤) والترمذي (٢٠٣/١) والبيهقي

(٨٠/٧) وأحمد (٣٠٨/٣) الإرواء ٧٨٥ .

(٢) باختصار من تلبس إبليس (٢٩٢ - ٢٩٦) .

ويقول مثنياً على اعتزال رهبان النصارى وسلوكهم في التعبد : « اعلم أنه لاوصول إلى الله سبحانه وتعالى إلا بالتزهد عن الشهوات والكف عن اللذات ، والاقتصار على الضرورات فيها ، والتجرد لله سبحانه في جميع الحركات والسكنات .

ولأجل هذا انفرد الرهبانيون في الملل السالفة عن الخلق ، وانحازوا إلى قلة الجبال ، وآثروا التوحش عن الخلق لطلب الأنس بالله عز وجل »^(١) . فانظر رحمك الله كيف أثر الرهبانية التي ابتدعتها اليهود والنصارى على الرهبانية التي شرعها الله عز وجل لهذه الأمة على لسان رسوله ﷺ . فعن أنى سعيد الخدرى أن رجلاً جاء رسول الله ﷺ فقال : أوصني فقال « أوصيك بتقوى الله فإنه رأس كل شيء ، وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام ، وعليك بذكر الله وتلاوة القرآن ، فإن روحك في السماء وذكرك في الأرض »^(٢) .

فانظر يرحمك الله كيف تلاعب بهم الشيطان فأبعدهم عن طريق الرحمن فأثروا ما ذم الله عليه الرهبان وقدموه على ما جاء به سيد ولد عدنان عليه من الله أفضل صلاة وأزكى سلام .

مقارنة بين أهل السنة والصوفية في غاية التزكية

فكما تتباين وسائل التزكية وطرقها بين أهل السنة والصوفية ، فإن غاية التزكية تختلف كذلك اختلافاً كلياً بينهما كما يقال :

سَارَتْ مُشْرِقَةً وَسِرَتْ مُعَرَّبًا
شَتَّانَ بَيْنَ مُشْرِقٍ وَمُعَرَّبٍ

وسوف نبين ذلك بشيء من التفصيل إن شاء الله تعالى .

(١) باختصار من « أبو حامد الغزالي والتصوف » (٣٩٧ ، ٣٩٨) .

(٢) رواه أحمد (٨٢/٣) وصححه الألباني في الصحيحة رقم ٥٥٥ .

غاية التزكية عند أهل السنة

غاية التزكية عند أهل السنة تحقيق كمال العبودية لله عز وجل ، واستكمال مراتب الحب والذل لله عز وجل ، واستسلام ظاهر العبد وباطنه لله عز وجل ، واستكمال مراتب الحب والذل لله عز وجل ، وأن يلقي العبد ربه بقلب سليم فيسعد بمجاورة الله عز وجل في الفردوس الذي سقفه عرش الرحمن .

قال شيخ الإسلام رحمه الله : وإنما دين الحق هو تحقيق العبودية لله بكل وجه ، وهو تحقيق محبة الله بكل درجة ، وبقدر تكميل العبودية تكمل محبة العبد لربه ، وتكمل محبة الرب لعبده ، وبقدر نقص هذا يكون نقص هذا ، وكلما كان في القلب حب لغير الله كانت فيه عبودية لغير الله بحسب ذلك ، وكلما كان فيه عبودية لغير الله كان فيه حب لغير الله بحسب ذلك ، وكل محبة لا تكون لله فهي باطلة ، وكل عمل لا يراد به وجه الله فهو باطل .

إلى أن قال : فإن المخلص لله ذاق من حلاوة عبوديته لله ما يمنعه من عبوديته لغيره ، ومن حلاوة محبته لله ما يمنعه من محبة غيره ، إذ ليس عند القلب لا أحلى ولا ألد ولا أطيب ولا ألين ولا أنعم من حلاوة الإيمان المتضمن عبوديته لله ومحبته له ، وإخلاصه الدين له ، وذلك يقتضى إنجذاب القلب إلى الله فيصير القلب منيباً إلى الله خائفاً منه راغباً راهباً كما قال تعالى :

﴿ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴾ [ق : ٣٣] إذ الحب يخاف من زوال مطلوبه وحصول مرغوبه ، فلا يكون عبد الله ومُحِبُّهُ إِلَّا بَيْنَ خَوْفٍ وَرَجَاءٍ ، قال تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [الإسراء : ٥٧] .

وإذا كان العبد مخلصاً له اجتباؤه ربه فيحیی قلبه ، واجتذبه إليه فينصرف عنه ما يضاد ذلك من السوء والفحشاء ، ويخاف من حصول ضد ذلك بخلاف

القلب الذى لم يخلص لله .^(١)

ومما يدل على أن العبودية هى غاية التزكية أن الله عز وجل وصف صفوة الخلق من الملائكة والرسل بالعبودية ، ومدحهم بذلك ، وذم وتوعد من يستكبر عن عبوديته عز وجل .

قال تعالى فى وصف الملائكة ﴿ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴾ [الأنبياء : ١٩]

وقال تعالى : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢٩]

وقال عن المسيح عليه السلام : ﴿ إِنَّهُ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [الزخرف : ٥٩]

وقال عز وجل : ﴿ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ، وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا » [النساء : ١٧٢ ، ١٧٣]

ونعت نبيه المصطفى ﷺ بالعبودية فى أكمل أحواله فقال فى الإسراء : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا ﴾ [الإسراء : ١] وقال فى الإحياء : ﴿ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ﴾ [النجم : ١٠]

وقال فى الدعوة : ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾ [الجن : ١٩]

وقال فى التحدى : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا ، فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ ﴾ [البقرة : ٢٣]

فإذا كانت الرسل والملائكة الذين هم أشرف الخلق أكمل الناس عبودية ؛ فإن العبد بتزكية نفسه غايته بذلك أن يُحقق كمال العبودية ويستكمل مستلزماتها .

(١) مجموع الفتاوى (٢١٣/١ - ٢١٦) .

والعبادة هي كمال الحب مع تمام الذل ؛ فكلما زكت نفس العبد ازداد حباً
وذلاً لله عز وجل .

وإذا كان الله عز وجل خلق الخلق من أجل أن يعبدوه عز وجل كما قال
تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات : ٥٦]

فلا شك أن العبد كلما أدى هذه الوظيفة التي خلق من أجلها كان أزكى
نفساً ، وأسلم قلباً ، وبهذا وغيره يتضح أن غاية التزكية عند أهل السنة
تحقيق كمال العبودية التي يستغنى العبد بالله عز وجل ويسعد به ويصل إلى محبة
الله عز وجل ورضاه .

قال ابن القيم رحمه الله : ومنى النفوذ إليه أن يتصل به قلبه ، ويعلق به
تعلق المحب التام المحبة بمحبوبه ، فيسلو به عن جميع المطالب سواء ، فلا يبقى في
قلبه إلا محبة الله وأمره والتقرب إليه ، فإذا سلك العبد على هذا الطريق عطف
عليه ربه فقربه إليه واصطفاه ، وأخذ بقلبه إليه وتولاه في جميع أموره ، في
معاشه ودينه ، وتولى تربيته أحسن وأبلغ مما يرى الوالد الشفيق ولده ، فإنه
سبحانه القيوم المقيم لكل شيء من المخلوقات طائعها وعاصيها ، فكيف تكون
قيوميته بمن أحبه وتولاه وآثره على ماسواه ، ورضى به من دون الناس حبيباً ورباً
ووكيلاً وناصرًا ومعيناً وهادياً ، فلو كشف الغطاء عن ألطافه وصنعه به من
حيث يعلم ومن حيث لا يعلم لذاب قلبه محبة له وشوقاً إليه ويقع شكراً له .
إلى أن قال رحمه الله : وإن الله سبحانه إذا أقبل على عبد استنارت جهاته ،
وأشرقت ساحاته ، وتنورت ظلماته ، وظهرت عليه آثار إقباله من بهجة
الجلال وآثار الجمال ، وتوجه إليه أهل الملأ الأعلى بالحبّة وبالموالة ؛ لأنهم تبع
لمولاهم ، فإذا أحبّ عبداً أحبوه ، وإذا والى والياً والوه ، إذا أحب الله العبد
نادى : يا جبريل إني أحبُّ فلاناً فأحبه ، فينادى جبريل في السماء : إن الله
يحب فلاناً فأحبه ، فيحبه أهل السماء ثم يحبه أهل الأرض فيوضع له القبول
بينهم ، ويجعل إليه قلوب أوليائه تفد إليه بالود والمحبة والرحمة ، وناهيك بمن
يتوجه إليه مالك الملك ذو الجلال والإكرام بمحبته ، ويقبل عليه بأنواع
كرامته ، ويلحظه الملأ الأعلى وأهل الأرض بالتبجيل والتكريم ، وذلك فضل

الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .^(١)

غاية التزكية عند الصوفية

فبينما يزداد أهل السنة بالتزكية عبودية وذلاً وتواضعاً وحباً لله عز وجل وافتقاراً إلى الكتاب والسنة لضبط أقوالهم وأفعالهم إرضاء لربهم عز وجل ، فإن الصوفية يزدادون بدعوى التزكية عندهم إلى ادعاء المكاشفة وحصول العلم اللدني الذي يستغنون به عن الكتاب والسنة والفناء في ذات الله عز وجل وتحقيق ما يسمونه بالعبد الرباني كما في الحديث الموضوع « عبدی أطعنی أجعلك عبداً ربانياً تقول للشيء كن فيكون » وهم مع ذلك يفضلون الأولياء على الرسل والأنبياء كما قال قائلهم :

مقام النبوة في برزخ
فوق الرسول ودون الولي

ويقول بعضهم : خضنا بجزراً وقف الأنبياء بساحله . وينتهي الأمر عند غلاتهم بالقول بالفناء في ذات الله ، واعتقاد الحلول والاتحاد .

١ - المكاشفة :

قال الغزالي : عبارة عن نور يظهر في القلب عند تطهيره وتزكيته من صفاته المذمومة ، وينكشف من ذلك النور أمور كثيرة ، حتى تحصل المعرفة الحقيقية بذات الله سبحانه وبصفاته الباقيات التامات ، وبأفعاله وبحكمته في خلق الدنيا والآخرة ، والمعرفة بمعنى النبوة والنبي ، ومعنى الوحي وكيفية ظهور الملك للأنبياء ، وبكيفية وصول الوحي إليهم ، والمعرفة بملكوته السماوات والأرض »^(٢) .

(١) طريق المهجرتين (١٧٩ ، ١٨٠) .

(٢) إحياء علوم الدين (١٩/١ ، ٢٠) .

ثم قال : « ونعني بعلم المكاشفة أن يرتفع الغطاء ، حتى يتضح له جليلة الحق في هذه الأمور ، إتضحاً يجري مجرى العيان الذي لا يشك فيه . »^(١) .

وأضاف : وهذا ممكن في جوهر الإنسان ، لولا أن مرآة القلب قد تراكم صدورها وخبثها بقاذورات الدنيا ، فبقدر ما يتجلى في القلب ويحاذى فيه شطر الحق يتألاً فيه حقائقه .^(٢)

يقول الأستاذ دمشقية : -

فإذا أزيلت هذه القاذورات وتطهر القلب من تراكم هذا الصدأ فإنه يصير ممكناً عند الغزالي الإطلاع على اللوح المحفوظ ، ومعرفة مقادير الخلائق حسبما هو مدون فيه ، ومعرفة ماسيكون في المستقبل ، وكشف ما في ضمائر الناس واعتقاداتهم وما تخفيه صدورهم .^(٣)

٢ - العلم اللدني :

لا تلبث هذه العلوم الكشفية عند الصوفية أن تتحول إلى علم خاص لِدُنِي مستقل عن العلوم الشرعية .

يقول الغزالي : « وإذا غلب نور العقل على أوصاف الحس يستغنى الطالب بقليل التفكر عن كثرة التعلم ؛ فإن نفس القابل تجد من الفوائد بتفكر ساعة مالا تجد نفس الجامد بتعلم سنة . »

ويقول : « العلم الحاصل عن الوحي يسمى علماً نبوياً ، والذي يحصل عن الإلهام يسمى علماً لدنياً ، والعلم اللدني الذي لا واسطة في حصوله بين النفس وبين الباري . »^(٤) .

(١) السابق (٢٠/١) .

(٢) السابق .

(٣) الرسالة اللدنية (١١٢ - ١١٣) نقلاً عن « أنى حامد الغزالي والتصوف » .

(٤) السابق (١١٦) .

ولاشك أن الصوفية يستغنون بهذه العلوم الدنية عن العلوم الشرعية المنزلة على خير البرية وبذلك يصير تحصيل العلوم الشرعية عيباً مذموماً عند الصوفية .

روى ابن الجوزي عن أحدهم حيث قال : قال أبو سعيد الكندي : كنت أنزل رباط الصوفية وأطلب الحديث في خفية بحيث لا يعلمون ، فسقطت الدواة يوماً من كمى ، فقال لى بعض الصوفية : استر عورتك^(١) .

وروى ابن الجوزي قول البسطامي : « مساكين أخذوا علمهم ميتاً عن ميت ، وأخذنا علمنا عن الحى الذى لا يموت^(٢) » .

٣ - إسقاط التكليف :

قال الأستاذ دمشقية : على أن هناك مظهراً آخر من مظاهر الشطح الصوفى أنكره كثيرون من المتصوفة وتبناه بعض الغلاة منهم ، وهو القول بإسقاط التكليف ، وذلك أن الواحد منهم يسرحه فيه رب العزة من قيود الشرائع ، ويخرجه من حدودها ، هذا ما يزعمونه ، وهو أكبر الزندقة بل هو ردة عن الاسلام لا ريب^(٣) .

وقال شيخ الإسلام رحمه الله : -

ولكن كثير منهم لا يطلقون السلب العام ويخرجون عن رتبة العبودية مطلقاً ، بل يزعمون سقوط بعض الواجبات عنهم ، أو جل بعض المحرمات لهم ، منهم من يزعم أنه سقطت عنه الصلوات الخمس لوصوله إلى المقصود ، وربما قد يزعم سقوطها عنه إذا كان في حال مشاهدة وحضور ، وقد يزعمون سقوط الجماعات عنهم استغناءً عنها بما هو فيه من التوجه والحضور ، ومنهم من يزعم سقوط الحج عنه مع قدرته عليه لأن الكعبة تطوف به ، أو لغير هذا من الحالات الشيطانية ،

(١) تليس إبليس (٣٢٨ - ٣٢٩) .

(٢) تليس إبليس (٣٢٠) .

(٣) أبو حامد الغزالي والتصوف (١٩٦) .

ومنهم من يستحل الفطر في رمضان لغير عذر شرعى زعماً منه استغناؤه عن الصيام ، ومنهم من يستحل الخمر زعماً منه أنها تحرم على العامة الذين إذا شربوا تخاصموا وتضاربوا دون الخاصة العقلاء ، ويزعمون أنها تحرم على العامة الذين ليس لهم أعمال صالحة ، فأما أهل النفوس الزكية والأعمال الصالحة فتباح لهم دون العامة^(١)

٤ - الفناء ووحدة الوجود :

قال ابن القيم رحمه الله :

زعم أهل الاتحاد القائلون بوحدة الوجود أن الفناء هو غاية الفناء عن وجود السوى ، فلا يثبت للسوى وجود ألّبتة لا في الشهود ولا في العيان ، بل يتحقق بشهوده وحدة الوجود فيعلم حينئذ أن وجود جميع المخلوقات هو عين وجود الحق ، فما ثم وجودان بل الموجود واحد .

وحقيقة الفناء عندهم أن يفنى عما لا حقيقة له ، بل هو وهم وخيال ، فيفنى عما هو فإن في نفسه لا وجود له ، فيشهد فناء وجود كل ما سواه في وجوده ، وهذا تعبير محض ، وإلا ففي الحقيقة ليس عند القوم « سوى » ولا « غير » وإنما السوى والغير في الوهم والخيال .

وأما أهل الاستقامة فيشيرون بالفناء إلى أمرين : أحدهما أرفع من الآخر .

الأمر الأول : الفناء في شهود الربوبية والقيومية فيشهد تفرد الرب تعالى بالقيومية والتدبير والخلق والرزق والعطاء والمنع والضرر والنفع ، وأن جميع الموجودات منفعة لا فاعلة .

الأمر الثانى : الفناء في مشهد الألوهية وحقيقة الفناء عن إرادة ماسوى الله ، ومحبة والإناابة إليه والتوكل عليه وخوفه ورجائه ، فيفنى بحبه عن حب ماسواه ، ويخوفه ورجائه عن خوف ما سواه ورجائه ، وحقيقة هذا الفناء أفراد الرب سبحانه بالمحبة والخوف والرجاء والتعظيم والإجلال اهـ^(٢)

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٤٠٣/١١) .

(٢) مدارج السالكين (٣٧٨/٣) .

قلت : وهذا الكلام في شرح الفناء عند أهل الاستقامة صحيح طيب إلا أن هذا المصطلح لم يثبت بالكتاب والسنة ولا استعمله سلف الأمة وإحداث مثل هذه المصطلحات مما يخالف أصول أهل السنة والجماعة .

المعاصي يريد الكفر

قديماً قال علماءنا : المعاصي يريد الكفر أى رسوله ؛ وذلك أن العبد إذا أكثر من معصية الله عز وجل فإنه يدخل بذلك في عبادة الشيطان ، فيعده ويمنيه ويضله ويغويه ولا يرضى منه دون الكفر ما استطاع إلى ذلك سبيلاً كما قال تعالى ﴿ إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَانَا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا وَلَاضِلَّيْنَهُمْ وَلَآمِنَيْنَهُمْ وَلَا مَرْئِيَهُمْ فَلَيُبَيِّنَنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَا مَرْئِيَهُمْ فَلَيُغَيِّرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا يَعْدُهُمْ وَيُمْنِيَهُمْ وَمَا يَعْدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [النساء : ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠] فهذا المنهج المبتدع عند الصوفية في التزكية الذى خالفوا به أهل السنة والجماعة آل بغلاتهم إلى الوقوع في الكفر الذى هو أكبر من كفر اليهود والنصارى ، وهذا ما وقع فيه ابن عربى وابن الفارض وابن سبعين والعفيف التلمسانى .

قال شيخ الإسلام رحمه الله :

وجماع أمر صاحب الفصوص^(١) وذويه هدم أصول الإيمان الثلاثة .

فإن أصول الإيمان : الإيمان بالله ، والإيمان برسله والإيمان باليوم الآخر .

فأما الإيمان بالله : فزعموا أن وجوده وجود العالم ، ليس للعالم صانع غير العالم .

وأما الرسول فزعموا أنهم أعلم بالله منه ومن جميع الرسل ، ومنهم من يأخذ العلم

(١) المراد ابن عربى النكرة خلافاً لابن عربى شارح الترمذى (عارضة الأحوذى) وهو من علماء السنة .

بالله - الذى هو التعطيل ووحدة الوجود - من مشكاته وأنهم يساوونه فى أخذ العلم بالشرعة عن الله ، وأما الإيمان باليوم الآخر فقد قال :

فَلَمْ يَنْقُ إِلَّا صَادِقُ الْوَعْدِ وَخَذَهُ وَالْوَعِيدُ الْحَقُّ عَيْنٌ تُعَايِنُ
وَأِنْ دَخَلُوا دَارَ الشَّقَاءِ فَأَيُّهَا عَلَى لَذَّةٍ فِيهَا نَعِيمٌ يُبَايِنُ

وهذا يذكر عن بعض أهل الضلال قبله أنه قال : إن النار تُصير لأهلها طبيعة نارية يتمتعون بها ، وحينئذ فلا خوف ولا محذور ولا عذاب لأنه أمر مستعذب ، ثم إن فى الأمر والنهى عنده الأمر والناهى والمأمور والمنهى واحد ، ولهذا كان أول مقاله فى الفتوحات المكية التى هى أكبر كتبه :

الرَّبُّ حَقٌّ وَالْعَبْدُ حَقٌّ يَأْتِيَتْ شَيْعِرَى مِنْ الْمُكَلَّفِ
إِنْ قُلْتَ عَبْدٌ فَذَاكَ رَبٌّ أَوْ قُلْتَ رَبٌّ أَتَى يُكَلَّفُ

وهذا مبنى على أصله ، فإن عنده ما ثمَّ عبد ولا وجود إلا وجود الرب فمن المكلف ؟ وعلى أصله هو المكلف والمكلف كما يقولون أرسل من نفسه إلى نفسه رسولا .

وكما قال ابن الفارض فى قصيدته التى نظمها على مذهبهم وسماها نظم السلوك :

إِلَى رَسُولٍ كُنْتُ مِنْ مُرْسَلٍ وَذَاتِي بِآيَاتِي عَلَى اسْتَدْلٍ

ومضمونها هو القول بوحدة الوجود وهو مذهب ابن عرى وابن سبعين وأمثالهم كما قال :

لَهَا صَلَاتِي بِالْمَقَامِ أُقِيمُهَا وَأَشْهَدُ فِيهَا أَنْهَا لِي صَلَاتِي
كِلَاتَا مُصَلٍّ عَابِدٌ سَاجِدٌ إِلَى حَقِيقَةِ الْجَمْعِ فِي كُلِّ سَجْدَةٍ
وَمَا كَانَ لِي صَلَاتِي سِوَاىَ فَلَمْ تَكُنْ صَلَاتِي لِغَيْرِي فِي إِذَا كُلِّ رَكْعَةٍ

إلى قوله :

وَمَازَلْتُ إِيَّاهَا وَإِيَّائِي لَمْ تَزَلْ وَلَا فَرَّقَ بَلْ ذَاتِي لِذَاتِي أَحَبَّتْ
ومثل هذا كثير والله أعلم .^(١)

إلى أن قال شيخ الإسلام رحمه الله :

وحدثني الشيخ العارف كمال الدين المراغي شيخ زمانه أنه لما قدم وبلغه كلام هؤلاء في التوحيد قال : قرأت على العفيف التلمساني من كلامهم شيئاً فرأيتُه مخالفاً للكتاب والسنة ، فلما ذكرت ذلك له قال : القرآن ليس فيه توحيد بل القرآن كله شرك ، ومن اتبع القرآن لم يصل إلى التوحيد .

قال : فقلت له : ما الفرق عندكم بين الزوجة والأجنبية والأخت الكل واحد ؟ قال : لا فرق بين ذلك عندنا ، وإنما هؤلاء المحجوبون اعتقدوه حراماً ، فقلنا : هو حرام عليهم عندهم ، وأما عندنا فما ثَمَّ حرام^(٢) .

وإنما سقنا هذا الكفر الصراح - وناقِل الكفر ليس بكافر - حتى يتبين لإخواننا كيف تذهب المناهج المبتدعة بأصحابها ، وأين توصل الطرق الضالة من سلوكها وحتى يتبين كذلك نقاء المنهج السلفي ، وكيف أنه طريق السلامة والنجاة في الدنيا كما أنه طريق الجنة ؛ لأنه طريق الأنبياء ومن اقتفى آثارهم ، ونسج على منوالهم ، نسأل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة .

(١) مجموع الفتاوى (٢ / ٢٤١) .

(٢) مجموع الفتاوى (٢ / ٢٤٤ ، ٢٤٥) .

الباب الرابع

خلاصة البحث

- * التزكية: هي التنمية والتطهير والإصلاح .
- * أهل السنة يزكون أنفسهم أولاً بالاعتقاد الصحيح في الله عز وجل وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر ، ويُعَبِّدُونَ قلوبهم وجوارحهم لله عز وجل بمقتضى هذه العقيدة الصحيحة .
- * أهل السنة يعتقدون أن كمال التزكية في الاستسلام لشرع الله عز وجل ظاهراً وباطناً ، ولكنهم يبدؤون بالفرائض لأنها أحب العبادات إلى الله عز وجل ، ثم يترقون بالنوافل حتى يصلوا إلى محبة الله عز وجل .
- * أهل السنة لا يستغنون عن الكتاب والسنة بحال في حال بدايتهم وحال نهايتهم ، بل إتباع السنة هو علامة محبة الله عز وجل والموصل إلى مزيد محبته كما قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ [آل عمران : ٣١]
- * أهل السنة يسировن إلى الله عز وجل بين الخوف والرجاء والمحبة ، فهم لا يُفَرِّطُونَ في الخوف فعل الخوارج ، ولا يبالغون في الرجاء فعل المرجئة ، ولا يتهاونون في دعاوى الحب فعل الصوفية .
- * غاية التزكية عند أهل السنة تحقيق كمال العبودية لله عز وجل فهم يعتقدون أن الرسل أكمل الناس عبودية لله عز وجل وأن الله عز وجل خلق الخلق من أجل عبادته فكلما أدى العباد وظيفة العبودية كانوا أحبَّ إلى الله عز وجل وأشدَّ تقرباً .
- * الصوفية : من أفقر الناس بآثار النبوة .
- * الصوفية : يزكون أنفسهم - زعموا - بالبدع والخرافات وتكلف مالم يشرعه الله عز وجل من العبادات .

* الصوفية - يدعون الاستغناء عن الكتاب والسنة بدعوى الكشف والعلم اللدني والتلقى عن الله عز وجل مباشرة .

* الصوفية : - يهربون من التكاليف الشرعية بدعوى سقوط التكليف ؛ لأنهم يصلون إلى حالة يستغنون بها عن العبادات المشروعة .

* غاية التزكية عند الصوفية : الفناء في ذات الله عز وجل ودعوى الحلول والاتحاد :

وبعد

فليس عجيباً أن تختلف ثمرات التزكية بين أهل السنة والصوفية فمدرسة السنة تخرج منها : عبد الله بن المبارك ، وأحمد بن حنبل ، وشيخ الإسلام ابن تيمية ، وابن عبد الوهاب .

ومدرسة الصوفية تخرج منها الزنادقة والملاحدة ، أمثال ابن عري وابن سبعين وابن الفارض والعفيف التلمساني .

﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا تَكْدًا ﴾ [الأعراف : ٥٨]

قال ابن أبي شونب : إن من نعمة الله على الشاب إذا نسك أن يوفقه الله إلى صاحب سنة يحمله عليها .

﴿ وَذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [الجمعة : ٤]

اللهم زدنا محبة للمصطفى ﷺ كما آمنا به ولم نره ولا تفرق بيننا وبينه حتى تدخلنا مدخله ، اللهم أحينا على سنته وأمتنا على ملته وأحشرنا في زمرة .

آمين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

مراجع البحث

- ١ - القرآن الكريم
- ٢ - تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير
- ٣ - أضواء البيان لمحمد الأمين الشنقيطي
- ٤ - فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني
- ٥ - صحيح مسلم بشرح النووي
- ٦ - عارضة الأحوذى شرح ابن العربي لجامع الترمذى
- ٧ - عون المعبود شرح سنن أبى داود لشمس الحق أبادى
- المكتبة السلفية بالمدينة المنورة
- ٨ - سنن النسائي بشرح السيوطى وحاشية السندى
- ٩ - سنن ابن ماجه ترقيم وتعليق محمد فؤاد عبد الباقي
- ١٠ - جامع الأصول لابن الأثير بتحقيق عبد القادر الأرناؤوط
- ١١ - مستدرک الحاكم مع تلخيص الذهبي
- ١٢ - موارد الظمان فى زوائد ابن حبان
- ١٣ - شرح السنة للبلغوى بتحقيق شعيب الأرناؤوط وزهير الشاويش دار بدر
- ١٤ - مجموع فتاوى شيخ الإسلام
- ١٥ - تلبیس إبليس لابن الجوزی
- ١٦ - عين الأدب والسياسة لابن هذيل
- ١٧ - طريق المهجرتين لابن القيم
- ١٨ - الوابل الصيب لابن القيم بتحقيق بشير محمد عيون
- ١٩ - مدارج السالكين لابن القيم بتعليق حامد الفقى
- ٢٠ - أبو حامد الغزالي والتصوف لعبد الرحمن دمشقية
- ٢١ - ولاية الله والطريق إليها لإبراهيم إبراهيم هلال
- ٢٢ - صحيح الجامع الصغير وزيادته للألبانى
- ٢٣ - سلسلة الأحاديث الصحيحة للألبانى
- دار المعرفة
- دار المدنى
- السلفية
- المكتبة المصرية
- دار الوحي
- المكتبة السلفية بالمدينة المنورة
- المعرفة
- المكتبة العلمية
- دار الفكر
- دار المعرفة
- المكتبة العلمية
- مكتبة ابن تيمية
- مكتبة المتنبي
- دار الفكر
- السلفية
- دار البيان
- مطبعة السنة المحمدية
- دار طيبة
- المكتب الإسلامى
- المكتب الإسلامى

- ٢٤- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى لجماعة من المستشرقين
دار الدعوة
- ٢٥- إرواء الغليل للألبانى
المكتب الاسلامى
- ٢٦- صحيح ابن ماجه للألبانى
مكتب التربية

فهرس الموضوعات

٥	١ - مقدمة
٧	٢ - الباب الأول : معنى التزكية وأهميتها
١٧	٣ - الباب الثاني : مقارنة بين أهل السنة والصوفية في مناهج التزكية
١٧	١ - منهج التزكية عند أهل السنة
١٧	١ - التزكية بالتوحيد
٢١	٢ - التزكية بفعل الواجبات وترك المحرمات
٣١	٣ - التزكية بالنوافل
٣٢	ب - منهج التزكية عند الصوفية
٣٢	١ - الصوفية يزكون أنفسهم - زعموا - بالمكاء والتصدية
٣٥	٢ - الصوفية يدعون تزكية أنفسهم بالاسم المفرد مظهراً أو مضمراً
٣٧	٣ - الصوفية يدعون تزكية أنفسهم بتحريم ما أحل الله
٣٨	٤ - الصوفية يدعون تزكية أنفسهم بالرهبانية وترك النكاح
٤١	٤ - الباب الثالث : مقارنة بين أهل السنة والصوفية في غاية التزكية
٤٢	١ - غاية التزكية عند أهل السنة
٤٥	ب - غاية التزكية عند الصوفية
٤٩	المعاصي يريد الكفر
٥٣	٥ - الباب الرابع : خلاصة البحث
٥٥	٦ - مراجع البحث